مكتبة

أدب برازيلي حديث

نادي الملائكة

لويس فرناندو ڤيريسيمو

ترجمة: إيناس التركي

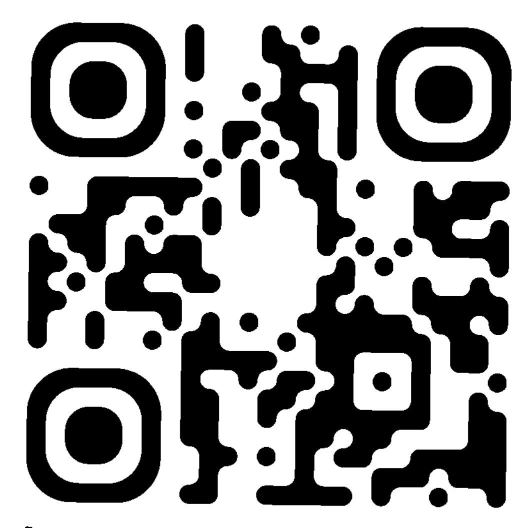
رواية

المحروسة

نادي الملائكة

لويس فرناندو ڤيريسيمو

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود



telegram @soramnqraa

عنوان الكتاب: نادي الملائكة O CLUBE DOS ANJOS
المؤلف: لويس فرناندو ڤيريسيمو Fernando Verissimo
ترجمة: إيناس التركي
مراجعة لغوية: شيرين يونس
إخراج داخلي: رشا عبدالله



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٤٦٢٤/ ٢٠٢٣
الترقيم الدولى: 978-977-313-973-5

2023

"تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق"
منحة الترجمة
Translation Grant

رواية



نادي الملائكة

لويس فرناندو ڤيريسيمو

ترجمة

إيناس التركي

المحروسة

الطبعة الأولى 2023





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

تشابون، مايكل

نادي الملائكة: رواية/ لويس فرناندو ڤيريسيمو؛ ترجمة: إيناس التركي.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

140ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 978-977-313-973-5

1 -القصص البرازيلية

أ- التركي، إيناس (مترجم)

ب- العنوان

869.3

رقم الإيداع 2023/14624

كل رغبة هي رغبة في الموت

حكمة يابانية محتملة

1

اللقاء



إن اسم لوسيديو ليس أحد أسماء الشيطان البالغ عددها 117 اسمًا، ولم أستحضره من الأعماق حتى يتمكَّن من معاقبتنا. عندما ذكرته للمجموعة أول مرة، قال أحدهم: "أنت تختلق هذا الأمر!"، لكن هذا ليس صحيحًا، فأنا بريء، حسنًا، بريء بقدر ما يمكن لمؤلفٍ أن يكون بريئًا. دومًا ما تتألَّف قصص الجريمة من عمليات بحثٍ مملَّة عن الطرف المذنب، في حين يكون من الواضح أن هناك طرفًا واحدًا فقط مذنبٌ. لا تزعج نفسك بإلقاء نظرة خاطفة على

الصفحة الأخيرة من الكتاب، عزيزي القارئ، لأن الاسم موجود على الغلاف: إنه المؤلف. في هذه الحالة، قد ينتابك الشك في أنني أكثر من مجرد مؤلف فكري للجرائم الموصوفة داخل الكتاب، وأن أصابعي لم تؤدِّ رقصتها الحزينة في أثناء نقرها لوحة المفاتيح فحسب، بل أضافت السمَّ أيضًا إلى الطعام، وتدخلت في الحبكة بدرجة أكبر مما كان ينبغي لها. مثل هذه الشكوك مبنية على المنطق، أو بالأحرى، على المنطق الغريب لقصص الجريمة: إذا بقي شخص واحد فقط على قيد الحياة في النهاية، فها هو المجرم الذي تبحث عنه، أما إذا ظلَّ شخصان على قيد الحياة، ولكن أحدهما شخصية مختلَقة، فيجب أن يكون الآخر هو المجرم. أنا ولوسيديو الناجيان الوحيدان من هذه القصة، وإذا لم أختلقه، ولأنه من غير المحتمل أن يكون هو قد اختلقني، فمن الواضح أنه المذنب، نظرًا إلى أنه كان الطباخ، ومات الجميع بطريقة أو بأخرى بسبب ما تناولوه من طعام. إذا كنتُ قد اختلقته، فإن الذنب يقع بالكامل على كاهلي. لا أستطيع أن أزعم حتى إنه إذا كان لوسيديو محض شخصية مختلَقة، فإن القصة برمتها تصير مختلقة، وبالتالي لا وجود لأي جرائم ولا مجرمين. إن الأدب القصصي ليس ظرفًا مخفِّفًا، والخيال ليس عذرًا. تراودنا جميعًا أفكار بالقتل، ولكن ذلك الوحش، المؤلف، هو فقط الذي يدوِّن جرائمه على الورق وينشرها. ربما لا أكون قد قتلت رفاقي التسعة وإخوتي الذين يشاركونني نفس الهوس، لكنني مذنبٌ بتخيُّل قتلهم. وحتى أثبت أنني بريء من هذه الجرائم الفظيعة، يجب أن أقنعك بأنني لم أختلق لوسيديو، كما أحتاج أيضًا إلى إقناعك بأن الحكاية حقيقية، لأثبت أنني بريء من اختلاق قصة. فالجريمة المختلَقة أسوأ بكثيرٍ من أي جريمة حقيقية، إذ إن الجريمة الحقيقية يمكن أن تكون في نهاية المطاف مجرد حادثٍ عرضي، أو نتاج لحظة من الانفعال، لكن من عساه سمع عن جريمة وهمية غير متعمدة؟

يمكنني تحديد الوقت واليوم والشهر ومكان لقائنا الأول. إذا كنت تريد شهودًا، فاذهب واسأل الناس في متجر النبيذ، إنهم يعرفونني، حيث أنفق ما يعادل ثروة صغيرة لشراء النبيذ من متجرهم كل شهرٍ. اسألهم عن الدكتور دانيال، الرجل البدين الذي يحب نبيذ سانت استيف. أنا لست طبيبًا في الواقع، لكنني ثري، ولهذا السبب يطلقون عليَّ لقب "دكتور" على سبيل الاحترام. عندما اقترب مني في قسمهم المخصص لنبيذ بوردو، في فبراير، منذ تسعة أشهر بالضبط، لا بُدَّ أنهم لاحظوا التناقض بيني وبين لوسيديو. فهو قصيرٌ ونحيلٌ، وله رأسٌ كبيرٌ جدًّا بالنسبة إلى جسده، لكنه دائمًا بالغ الأناقة، ويرتدي بذلة وربطة عنق، بينما أنا طويل وقوي البنية، وأرتدي قميصًا فضفاضًا أبقيه خارج سراويلي، حتى إنه عُرِف عني أيضًا ارتداء أحذية إسبادريل في مطعم دوكاس دو باريس. لا بُدَّ أن الناس في المتجر لاحظوا التناقض بيننا وعلقوا عليه. كما سيخبرونك أن المكان كان خاليًا، وأننا بدأنا الحديث بجوار قسم نبيذ بوردو، وتجوَّلنا في المتجر بأكمله معًا، وعندما وصلنا إلى قسم نبيذ تشيلي، بتنا مثل صديقين قديمين. ربما يتذكرون أنني اشتريت نبيذًا من قاورش بناء على نصيحته، الذي لم أكن لأشتريه في العادة، وأننا غادرنا المتجر معًا، لقد رأونا؛ لوسيديو موجود بالفعل، أقسم على ذلك، اسأل في متجر النبيذ.

لا يعرف الناس في المتجر أننا ذهبنا بعد ذلك وتناولنا القهوة في المركز التجاري، وجلسنا لمواصلة الحديث، حيث كان لدينا الكثير من الاهتمامات المشتركة. لكننا في الواقع لم نتبادل الحديث فيما هو أكثر من الطعام والشراب في ذلك اللقاء الأول. تتسم حركات لوسيديو بالتحفُّظ الشديد، ولا تصدر عنه سوى إيماءات قليلة للغاية: يجلس وظهره مفرود، ويحافظ على رأسه ثابتًا تمامًا تقريبًا. أما أنا، فلا أجلس على مقعدٍ أو إلى طاولة، بقدر ما أرسو هناك كالسفينة، وهي عملية صعبة بالنظر إلى ندرة توفر زوارق السحب. في ذلك اليوم، قبل

أن أستقر بأمانٍ على الكرسي وأنادي النادل، قلبتُ وعاء السكر، وكدت أقلب الطاولة وأسقط النبيذ. تقول صديقتي المسكينة، ليفيا، إنني لا أدرك حجم المساحة التي أشغلها، وإن هذا ينبع من أنني كنت طفلًا سمينًا مدلّلًا، وهو أمرٌ يتعلق بكوني طفلًا وحيدًا لم يضع له أحدٌ أي حدود قطُّ. تعمل ليفيا المسكينة كإخصائية نفسية وإخصائية تغذية، وقد ظلّت تحاول إنقاذي لسنوات الآن. أنا لستُ حبيبها، بقدر ما أمثّل قضية بالنسبة إليها. كان لديَّ ثلاث زوجات، وجميعهن طمعن في أموالي، أما ليفيا فلا تسعى وراء مالي، بل تريد أن تصبح المرأة التي تنقذني، وهو الأمر الذي يبدو لي طموحًا أشد أنانية وأكثر إثارة للخوف بدرجة كبيرة. ربما لهذا السبب أقاوم الزواج منها، في حين أنني لم أقاوم الزواج من الأخريات على الإطلاق، رغم أنني كنت أعرف جيدًا أن كرشي ليس هو السبب وراء حبهن لي. نعيش منفصلين عن بعضنا، لكنها تعتني بشقتي وملابسي، وتحاول عبثًا الاهتمام بنظامي الغذائي أيضًا. أنا مقتنع بأنها إذا تمكّنت من ذلك، فسوف تحد ما أتناوله من طعامٍ ليقتصر على الحليب من ثدييها، وعلى الألياف، الكثير من الألياف. كما أنني أتحدث كثيرًا بدرجة مفرطة وبصوتٍ عالٍ جدًّا، وهي نتيجة أخرى لطفولتي التي كانت من دون قيود. أقنعتني ليفيا أن مأساة حياتي بأكملها يمكن أن تُعزى إلى عدم وجود شخص يقول لي: "دانيال، توقف عن ذلك!".

أذكر أنني استأثرت بالحديث كله تقريبًا خلال ذلك اللقاء الأول مع لوسيديو، حكيتُ له عن نادينا، وأخبرته بأسماء جميع الأعضاء، وأجاب لوسيديو عند سماع كل اسم قائلًا: "آه"، أو "هممم"، ليظهر إعجابه؛ ففي النهاية، كنت قد ذكرت تسعة من أشهر العائلات في الولاية. وأخيرًا، أخبرته باسمي، الذي أثار إعجابه أيضًا، أو بالأحرى، أصدر صوتًا آخر ينمُّ عن التهذيب، وظلَّ محافظًا طول الوقت على

نفس الابتسامة الصغيرة المشدودة. من الغريب أن لوسيديو لا يظهر أسنانه على الإطلاق.

انتظر لحظة، الآن بعد أن أمعنت التفكير في الأمر، فقد قال "أعرف هذا!" عندما أعطيته اسمي الكامل، دانيال، بالإضافة إلى اسم عائلتي، قال "أعرف هذا!". ولا بد أنك تفكر أن هذا يثبت أن اللقاء لم يكن محض صدفة، لكن ربما يكون قد تعرَّف عليَّ من إحدى الصور الفوتوغرافية. عندما كان راموس مسؤولًا عن حياتنا منذ سنواتٍ، كثيرًا ما كان يرد ذكرنا في الصحف، في صفحات المجتمع، أو في المجلات المتخصصة في الطعام والشراب؛ ربما يكون قد تعرَّف علينا من الصور، نحن العشرة، من الصور والسمعة. كنَّا لا نزال نلتقي مرة شهريًّا لتناول العشاء. لعشرة أشهر خلال العام، من مارس إلى ديسمبر، كنَّا نتناول الطعام في منزل عضوٍ مختلفٍ كل شهر، وكان ذلك العضو مسؤولًا عن تقديم العشاء. كنَّا سنبدأ موسمًا جديدًا في مارس، وأنا مسؤول عن مأدبة العشاء الأولى في العام، لكن كان هناك احتمال ألَّا يبدأ الموسم على الإطلاق، سألني لوسيديو عن السبب.

- إن المجموعة تنهار، لقد فقدنا حيويتنا.
- منذ متى تُعقد هذه الاجتماعات؟
- واحد وعشرين عامًا، اثنان وعشرون هذا العام.
- دائمًا في وجود نفس الأعضاء؟
- أجل، لا، لقد مات أحد الأعضاء، وتم استبداله، لكن هناك دائمًا عشرة أعضاء.
- هل أنتم جميعًا في نفس العمر تقريبًا؟

من نبرة أسئلته، بدا لوسيديو كما لو أنه يدوِّن الملاحظات على الطاولة، لكنني لم ألحظ حينها نبرته الاستجوابية تلك. أخبرته كل شيء،

وحكيت له تاريخ نادي يخنة لحم البقر. لم يقطع لوسيديو ابتسامته المشدودة الثابتة سوى ليقول "آه" أو "هممم".

كنَّا جميعًا في نفس العمر تقريبًا، وجميعنا أثرياء للغاية، على الرغم من أن ثرواتنا تذبذبت على مدار العشرين عامًا الماضية، كانت كلها ثروات موروثة، خاضعة لتقلبات شخصياتنا وتقلبات السوق. نجت ثروتي الشخصية من ثلاث زيجات كارثية وحياة مكرسة للقصص الغريبة التي أجمعها، ومكرسة للبطالة على نحوٍ لا يليق، لكن هذا فقط لأن والدي يدفع لي مقابل عدم جرِّ أي من مشروعات الأسرة إلى محيطي ذي التأثير المدمر. باستثناء راموس، كنَّا جميعًا في نفس العمر ومن نفس الطبقة الاجتماعية. وباستثناء صامويل وراموس، كنَّا جميعًا قد نشأنا معًا. بيدرو، وباولو، وساولو، وماركوس، وتياجو، وجواو، وأبيل، وأنا. من اللقاءات اليومية تقريبًا في بار ألبيري خلال فترة المراهقة، وطبق يخنة لحم بقر ألبيري مع فاروفا البيض والموز المقلي، الذي حدَّد لسنوات ذوقنا في الطعام، انتقلنا إلى تناول العشاء أسبوعيًّا في مطاعم مختلفة، ثم إلى الاجتماعات الشهرية في منازلنا الخاصة. وبمرور الوقت، ومع مواعظ راموس، صقلنا أذواقنا، ومع ذلك، أصرَّ صامويل على أنه لا يوجد في الحياة ما يضاهي الموز المقلي.

- هل يتولى المضيف الطهي دائمًا؟

- ليس بالضرورة، يمكنه ذلك إن شاء، أو يمكنه تقديم طعام من إعداد شخص آخر، لكنه مسؤول عن جودة الوجبة والنبيذ.

- ما الذي حدث إذن؟ لا أفهم.

- ما الذي تعنيه بماذا حدث؟

- الحيوية، لقد ذكرت أنكم فقدتم حيويتكم.

- أوه، هذا صحيح. أعتقد أن هذا حدث بعد موت راموس.. لأن راموس هو الذي مات، كان هو من يتولى تنظيمنا. هو الذي وضع القواعد، وتولى طباعة البطاقات وأوراق الملاحظات التي يعلوها الشعار، حتى إنه هو من صمَّم شعار النادي، كان يأخذ كل شيء على محمل الجد بدرجة كبيرة، بعد وفاته...

- بسبب الإيدز.

- هذا صحيحٌ، تغيَّر كل شيء. كانت مأدبة العشاء الأخيرة في الموسم الماضي فظيعة، بدا الأمر كما لو أننا جميعًا سئم بعضنا مرأى بعض. حدث ذلك في شقة فتى الشوكولاتة، عند تياجو. كانت الوجبة ممتازة، لكن مأدبة العشاء انتهت على نحو سيئ. نشب شجارٌ بين النساء، وكان ذلك هو العشاء الأخير في السنة، الذي دومًا ما يمثِّل مناسبة خاصة، قرابة وقت عيد الميلاد، أعتقد أنه في العامين الماضيين منذ وفاة راموس...

- أخذتم تفقدون الدافع.

- أجل، الدافع والحماسة والحيوية.

- كل شيء ما عدا شعوركم بالجوع.

- كل شيء ما عدا شعورنا بالجوع.

بدأ أولئك الذين يتسوقون في وقتٍ متأخرٍ من الليل يتوافدون. طلبنا فنجانين آخرين من القهوة، وكالعادة ملأتُ فنجاني بالسكر، وسكبت بعضًا منه في الصحن. أدركت أنني لا أروي عن التفكك البطيء لمجموعتنا فحسب، بل وأيضًا سيرة جوعنا، وما حدث له ولنا على مدار إحدى وعشرين سنة.

في البدايـة، لم تكـن مجـرد متعـة الأكل والـشرب والوجـود معًـا هـي مـا وحَّدنـا، بـل كان في الأمـر درجـة مـن التباهـي أيضًـا. بمجـرد أن بادلنـا أشـياء أفضـل بيخنـة لحـم بقـر ألبـيري، تحوَّلـت مـآدب عشـائنا إلى طقـوس لإظهـار القـوة، عـلى الرغـم مـن أننـا لم نكـن نـدري ذلـك حينهـا. كان في وسـعنا تحمُّـل تكلفـة الطعـام والـشراب الجيـد، لـذا أكلنـا وشربنـا الأفضـل فقـط، وحرصنـا عـلى الظهـور أمـام العيـان ونحـن نتمتـع بذلـك الامتيـاز. لكـن ذلـك لم يكـن هـو كل مـا في الأمـر، لم نكـن مجـرد أوغـاد حمقـى فحسـب، كنَّـا مختلفـين، وخـلال احتفالاتنـا الصاخبـة تلـك بأذواقنـا المشـتركة، اسـتمتعنا بصداقتنـا وتفردنـا. كنَّـا نتمتـع بتقديـرٍ أكـبر للحيـاة وملذاتهـا، ومـا وحَّدنـا حقًّـا هـو اليقـين بـأن جوعنـا يمثِّـل كل الشـهوات التـي سـيثيرها العـالم فينـا يومًـا مـا. كنَّـا فائقـي الشراهـة في بـادئ الأمـر، إلى درجـة أن أي شيء أقـل مـن العـالم برمتـه كان سـيبدو أشـبه بالعـزل في أثنـاء الجـماع. أردنـا العـالم بأكملـه، لكـن انتهـى بنـا المطـاف كمجـرد مجموعـة مـن الفاشـلين المكتوفـين داخـل حـدود المدينـة، نتقلـب وسـط فضلاتنـا. لكننـي أسـتبق نفـسي، دانيـال، توقـف عـن ذلـك! مـا زلنـا في المقهـى في المركـز التجـاري، وأنـا جالـس مقابـل لوسـيديو، أسـكب حيـاتي عـلى الطاولـة مـع السـكر.

في الليلـة التـي قـرر فيهـا رامـوس إضفـاء الطابـع الرسـمي عـلى تأسـيس نـادي يخنـة لحـم البقـر -الـذي تـم تسـميته تكريمًـا لحياتنـا الماضيـة كذوَّاقـين جهلـة- أنشـأنا أنـا وماركـوس وسـاولو وكالتنـا المتخصصـة في العلاقـات العامـة، مـا أن تمكَّنـتُ مـن إقنـاع والـدي أن أيـام بطالتـي قـد ولَّـت، وأننـي أسـتحق بعـض الدعـم المـالي، أو عـلى الأقـل مـصروف عـدة سـنوات مقدمًـا، كي أبـدأ عمـلي الخـاص. كان لدينـا الكثـير مـن الخطـط، وسرعـان مـا سـنصبح نجومًـا في عـالم العلاقـات العامـة: ماركـوس بمواهبـه الفنيـة، وأنـا بمهـاراتي في الكتابـة، وسـاولو بموهبتـه في التواصـل مـع النـاس والإقنـاع واختـلاق الترهـات المبتكـرة. انتُخـب باولـو عضـوًا في مجلـس

المدينـة، وكانـت لديـه آراء ليبراليـة لا تتوافـق مـع رصيـده المـصرفي، ومـع علاقتـه بنـا كأصدقـاء -كان يدعونـا رجعيـين ملاعـين- لكنـه كان فائـق الـذكاء. كنّـا عـلى يقـين أنـه مـع الوقـت، سـيتمتع بمسـتقبل سياسي مبهـر، وسيسـاعده في ذلـك إلى حـدٍّ كبـيرٍ كـون شـقيقه يتقلـد رتبـة عاليـة في شرطـة الأمـن الوطنـي. كان تياجـو قـد بـدأ يصنـع لنفسـه اسـمًا كمهنـدسٍ معـماري، بينـما تـولّى بيـدرو أخـيرًا إدارة شركـة العائلـة، بعـد أن أمـضى عامًـا في أوروبـا مـع مـارا (التـي كنّـا جميعًـا نحبهـا)، في شـهر عسـل دام أشـهر عديـدة، عـلى الرغـم مـن دعـوات عائلتـه المتكـررة لـه بالعـودة إلى الوطـن. أمـا جـواو، صديقنـا الـذكي جـواو، الـذي علّمنـا الاسـتثمار في البورصـة، وكان يـورد لنـا السـجائر والنـكات، فقـد بـدأ يكسـب مبالـغ "فاحشـة" مـن المـال، تبعًـا لتعبـير صامويـل. وبالنسـبة إلى أبيـل، صديقنـا اليسـوعي اللطيـف الحسّـاس، المتخصـص في اللحـوم والأسـماك المشـوية، فقـد تـرك مؤخـرًا مكتـب والـده للمحامـاة ليفتتـح مكتبـه الخـاص. ومثـل بيـدرو، تـزوج هـو أيضًـا مؤخـرًا، وكان إحساسـه بالنشـوة في ذلـك الوقـت مزيجًـا مـن الشـعور بالذنـب الـذي انتابـه لأنـه تحـرر مـن هيمنـة والـده، وحماسـته لمكتبـه الجديـد، والصدمـة الجنسـية لزواجـه مـن نورينيـا. مـن دون أن يـدري، كانـت قـد ضاجعـت عضويـن آخريـن في المجموعـة بالفعـل، بـل وحتـى حاولـت إغـواء صامويـل ذات مـرة. كان أبيـل هـو الـذي يقاطـع احتفالاتنـا أحيانًـا صائحًـا: "إنهـا لحظـة سـحرية يـا رفـاق، لحظـة سـحرية"، وبالتـالي يفسـد سـحر اللحظـة بالطبـع. كان صامويـل يعتقـد أن هـذه الحاجـة المسـتمرة إلى لحظـات التجـلي العظيمـة هـي مـن آثـار مـاضي أبيـل الدينـي.

صامويـل، أفضـل مـن فينـا، وأسـوأ مـن فينـا، أكـثر شـخص يتنـاول الطعـام، لكنـه لم يسـمن قـطُّ. أكـثر مـن أحبّنـا، وأكـثر مـن وجَّـه إلينـا الإهانـات، وكانـت كلمتـه المفضَّلـة هـي "وغـد"، التـي اسـتخدمها لوصـف الجميـع بـدءًا مـن النـادل ("يـا سـيد وغـد!")، حتـى البابـا (قداسـة

الوغد). كان أكثرنا وضوحًا، وأشدنا هوسًا، كما كان آخر من مات هذا الشهر، أمام عيني مباشرة، وهو من عانى أشد ميتة إيلامًا. وأخيرًا، كان هناك راموس، الذي أقنعنا أن جوعنا لم يكن مجرد جوع جسدي، وأننا كائنات مستنيرة، وأن شرهنا هو شره جيل بأكمله، أو أننا على الأقل لم نكن مجرد أوغاد بالكامل. كان راموس -وغدنا المقدس، كما أطلق عليه صامويل- يلقي الخطب دائمًا في اجتماعاتنا. بدأ كل شيء معه، كان هو من أضفى طابعًا معينًا من الوقار على مآدب عشائنا العادية، وشكَّل النادي من "العشرة أشخاص الجالسين حول هذه الطاولة، وهؤلاء العشرة فقط"، إلى أن يفرق بيننا الموت أو النساء. ثم غمس قطعًا من الخبز في النبيذ حتى نمضغ جميعًا ونبتلع معًا، كما لو أننا نقطع نذرًا مقدسًا بالولاء، كان طقسًا وجد أبيل في إشاراته إلى سر التناول أمرًا مؤثِّرًا للغاية.

في البداية، كان راموس هو الذواقة الحقيقي الوحيد في المجموعة، علَّمنا بطريقة السؤال والجواب، وأضفى على شرهنا النظام والأناقة. أقنعنا بأن أول عمل لنادي يخنة لحم البقر يجب أن يكون هو التخلي أخيرًا عن يخنة لحم بقر ألبيري كمقياسٍ لجودة الطعام. ثارت بعض المقاومة لهذا، ولسنوات طويلة بعد ذلك، كان صامويل يدافع عن مزايا الموز المقلي كلما رغب في إزعاج راموس. لكن صامويل كان على استعدادٍ لأكل أي شيء، كما اشتبهنا أنه على استعدادٍ لأكل أي شخص أيضًا. علَّمنا راموس أننا نمارس فنًّا فريدًا، وأن فن تذوُّق الطعام هو متعة ثقافية لا مثيل لها، إذ لم يكن هناك أي فن آخر ينطوي على نفس التحدي الفلسفي الذي يتطلَّب فيه التقدير تدمير الشيء الذي نقدره، وحيث يصير التبجيل والاستهلاك صنوين. ولا يوجد فن آخر يمكن أن يضاهي الأكل كمثالٍ على الإدراك الحسي لفنٍّ ما، أي فنٍّ، مع استثناء واحد، حسب اعتقاده، وهو في الواقع تحسس مؤخرة تمثال ديفيد لمايكل أنجلو. كان قد عاش عدة سنوات في باريس، وكانت

الرحلات إلى أوروبا هي فكرته، مع زيارات إلى المطاعم ومزارع الكروم الشهيرة، التي نظمها بنفسه "بالدقة المتناهية النموذجية لشخص لوطي"، وفقًا لصامويل. كما كان هو من أنذرنا أنه منذ اللحظة التي سنسمح فيها بانضمام النساء إلى النادي، فسوف يأخذ كل شيء منحى سيئًا. كان يجب أن يقتصر الأمر على هؤلاء الأشخاص العشرة، ولا أحد سوى أولئك العشرة، وإلا سيضيع السحر، وسنضيع نحن؛ كان حقًّا نبيًّا من نوعٍ ما.

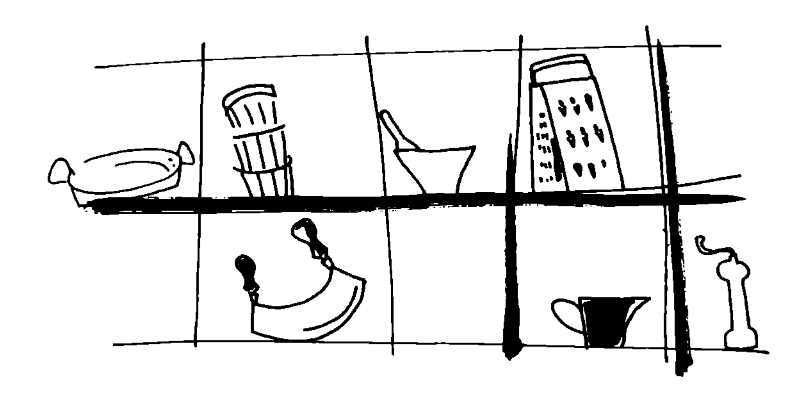
لا أعرف لماذا حكيت كل هذا لشخص أعرفه بالكاد، ربما لأنني لم يسبق وأن حظيت بمستمعٍ يقظٍ إلى هذا الحد من قبل. جلس لوسيديو ساكنًا تمامًا ويداه مطويتان على الطاولة، مثل طردٍ أنيقٍ لا يحله إلا من أجل تناول رشفة أخرى من القهوة. لم تغادر الابتسامة المشدودة وجهه على الإطلاق. صار الوقت متأخرًا، وكنت في حاجة إلى العودة إلى المنزل والاتصال بليفيا، التي تقلق بشأن زياراتي المنفردة إلى المركز التجاري. كنت أسكن بالقرب منه بدرجة تكفي للسير إلى هناك ذهابًا وعودة، واعتادت القول إنه بالنظر إلى ضخامة جثتي، فإن السبب الوحيد لعدم تعرضي للسرقة في الشارع هو أن اللصوص كانوا يخشون أن مثل هذا الهدف السهل يمكن أن يكون مجرد فخٍّ. دعوت لوسيديو إلى الصعود إلى شقتي، أردتُ أن أريه مجموعتي من زجاجات النبيذ، كما أردتُ الاستمرار في رواية حكايتنا، لا أدري السبب في ذلك. في مأدبة عشاء عيد الميلاد، اقتبس صامويل عبارة باللاتينية من كتاب ساتريكون: كل شيء ينتهي به المطاف حطامًا كالسفينة، أو شيء من هذا القبيل. كان لوسيديو قد عثر عليَّ وأنا نصف محطم، عندما كدت أغرق تقريبًا، بينما لا يزال فمي فقط فوق مستوى الماء، تملؤه ثرثرة المحتضرين اليائسة. كنت في حاجة إلى إخبار شخصٍ ما عن مأساة حياتي وحياة أصدقائي، وها قد عثرت على مستمعٍ يقظٍ، شخص لن يوصيني بتناول المزيد من الألياف.

لم يخطـر ببـالي إلا بعدهـا بوقـتٍ طويـلٍ: كيـف عـرف لوسـيديو أن رامـوس مـات بسـبب الإيـدز؟ هـل كان مجـرد حـدسٍ؟ هـل كان يعـرف رامـوس وسـبب وفاتـه، وتـرك هـذه المعلومـة تفلـت مـن دون قصـدٍ؟ أم أنـه كان يمنحنـي أول دليـل عـن سـبب وصولـه إلى حياتنـا مـن أجـل تسـميمنا؟



2

قشرة السمكة



أفكر أحيانًا أنني فعلت بشقتي ما أريد أن أفعله بعقلي: تخلَّصتُ من كل الفوضى. تتألف الشقة من غرفتين شاسعتين خاليتين، تبدوان كأنهما جاهزتان لحفلٍ راقصٍ لا يبدأ أبدًا في الواقع. على الأرضية الخشبية العارية، مقابل الجدران البيضاء، توجد أريكتان طويلتان باللون الأبيض تشكِّلان زاوية قائمة، وعلى النوافذ الضخمة توجد ستائر باللون البيج، وهو التنازل الوحيد الذي قدمته إلى الألوان، أو بالأحرى، إلى ليفيا. عند عقد مآدب العشاء الجماعي في شقتي، أو عندما كنَّا نعقدها، كنت أضع طاولة كبيرة في منتصف أكبر الغرفتين حجمًا. تظل الطاولة مفككة بقية العام، والكراسي مكدَّسة على الشرفة

في الخارج، بينما أتناول أنا طعامي على طاولة المطبخ. كان لوسيديو لا يزال يحتفظ بنصف ابتسامة مرتسمة على شفتيه، وتفحص كل شيء من دون أن يتفوَّه بكلمة، كان ذلك هو رد الفعل الوحيد المحتمل حيال هاتين الغرفتين الشاسعتين الخاليتين.

في المقابل، في غرفة مكتبي بجدرانها المكسوَّة بالخشب من أعلاها حتى أسفلها، بذلت قصارى جهدي لتقليد منزل زوج من السناجب تذكرته من رسم توضيحي في كتاب للأطفال، ظلَّ بالنسبة إليَّ طوال حياتي مثالًا للحياة المنزلية الدافئة. يبدو الأمر كما لو أنني أنا أيضًا أعيش داخل جذع شجرة، وأقتات المكسرات المخزنة لفصل الشتاء، وأعلم أن السبب وراء فشل جميع زيجاتي هو أن أيًّا من زوجاتي الثلاث لم يفهمن أن دورهن في حياتي هو دور السيدة سنجاب. حتى أعمدة مصابيح الإنارة مصنوعة من الخشب المعقود، تمامًا مثل أعمدة مصابيح السيد والسيدة سنجاب. كل ما أحبه موجود في هذه الغرفة، في خليط قاوم غارات ليفيا المتكررة لنشر الحضارة: الصحف والمجلات متناثرة على الأرض، وكؤوس البراندي، وزجاجات الكونياك والأرمانياك، والسيجار، باختصارٍ، مخزوني الشتوي من المكسرات. أوه، وجهاز الكمبيوتر الخاص بي الذي أكتب عليه ذلك الهراء الذي يثير قلق ليفيا -مثل قصصي اللامتناهية عن التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين- الذي أكتب عليه هذه الكلمات بينما أنتظر الزيارة الثانية للسيد سبيكتور، لكن ها أنا أستبق نفسي مرة أخرى. يأوي جذع شجرتي أيضًا جهاز التلفاز، ومسجل الفيديو، وأشرطتي، ونظام الصوت، وأقراصي المدمجة، وكل ما أحتاج إليه لتحمُّل حصار الثلج والذئاب. هذا بالإضافة إلى بعض الكتب، القليل منها فقط، عن فن تذوق الطعام والنبيذ، وبعض المجلدات غير المقروءة عن مجال صناعة الإعلانات، التي تعود إلى الوقت الذي فتحت فيه الوكالة مع ماركوس وساولو، وأغلقتها بعد ثمانية أشهر فحسب. كان راموس

الوحيد في المجموعة الذي يقرأ كثيراً. كان تياجو يقرأ ويعيد قراءة الروايات البوليسية التي ملأت منزله، التي كان مهووسًا بشرائها. ما إن تخلَّى باولو عن الماركسية وترك السياسة للعمل في شركة بيدرو، حتى توقف عن القراءة تمامًا. لا أعلم من أين استقى صامويل ثقافته، ولا من أين استمدَّ سعة الإطلاع التي استغلها في إهاناته، مثل تلك المرة التي قارن فيها معاناة أبيل بعد طلاقه من نورينيا بمعاناة فيلوكتيتيس، الذي تسبَّب جرحه المفتوح المتقيح في إثارة اشمئزاز رفاقه في الأوديسة، حتى تركوه على جزيرة نائية مهجورة. كان صامويل يقول لأبيل وهو يبكي، بينما نحن نبذل قصارى جهدنا لمواساته: "فلتحتفظ بنتانتك لنفسك، يا فيلوكتيتيس". ومع ذلك، خلال الليالي الطويلة في الحانات أو المشي في الشوارع، كان صامويل هو الشخص الذي سكب أمامه أبيل جروحه وغضبه حتى تمكَّن من تطهير حياته من نورينيا. قال صامويل: "لا شيء يضاهي الاعتراف، حتى بالنسبة إلى كاثوليكي غير ملتزمٍ". لم أرَ صامويل على الإطلاق وبحوزته كتاب، تمامًا كما لم يمنحنا راموس قطُّ أي لمحة عن حياته كمثلي الجنس، كذلك أخفى صامويل حياته الفكرية عن بقية المجموعة.

كان الديكور الوحيد في غرفة مكتبي لوحات ماركوس، التي قدمها لي ساولو. انتشرت لوحات ماركوس البشعة في كل مكان، وبدلًا من الأرفف، يوجد مخزنان للنبيذ يمكن التحكم في درجة حرارتهما، طليتهما بعروق وعقد تحاكي الخشب، كما يليق بمخزن نبيذ سنجاب. وضعت زجاجة نبيذ قاورش التي ابتعتها من متجر النبيذ في أحد هذين المخزنين، واخترت زجاجة من نبيذ أورميس دي بيز 82، كي نتناولها في الحال، على الرغم من احتجاجات لوسيديو، وبينما كنت أفتح زجاجة النبيذ، رنَّ جرس الهاتف، ليفيا، لقد نسيت الاتصال بها لأحكي لها عن يومي.

- بماذا انشغلت؟

- لا شيء.
- هذه هي المرة الثالثة التي أتصل فيها هاتفيًا، أين كنت؟
- انشغلت بالحديث مع أحدهم في المركز التجاري، لديَّ صديق معي في الوقت الحالي.
- ليس صامويل!

كانت ليفيا تصاب بالرعب من صامويل، كان هو الوحيد الذي يزور أعضاء النادي الآخرين بانتظامٍ بين مآدب العشاء، ويحاول إبقاء المجموعة معًا والحفاظ على جذوة صداقتنا مشتعلة، على الرغم من أن هيئته الكئيبة إلى حدٍّ ما كانت تذكرنا فحسب بما فعله الزمن بنا جميعًا، وعلى الرغم من أن همَّه الوحيد خلال تلك الزيارات كان التحدث بالسوء عن الآخرين. كان صامويل لا يزال يتمتع بشهية شاب، لكنه ازداد نحافة بمرور الزمن. منحته أسنانه المهملة والهالات الداكنة أسفل عينيه جوًّا من الانحلال أخذ يتباهى به تمامًا، كما لو أنه يجبرنا على مواجهة واقعنا. انحنى جسد صامويل تحت وطأة إخفاقاتنا، وانحفر وجهه بكل وعودنا الكاذبة. قبل عشرين عامًا، لم يكن أي منًّا قد حقق مع النساء النجاح الذي تمتع به معهن صامويل، الكاره للنساء، بعينيه الغائرتين وصوته الأجش. ولا حتى باولو، الذي كان، وفقًا لصامويل، يشير إلى عضوه الذكري بوصفه "صائد الأصوات الانتخابية"، واستغله لتجنيد الناخبات من جميع الأعمار والأشكال، في أي مكان وفي أي وقت، ذلك الوغد. ذات مرة، اضطررنا إلى استغلال نفوذنا الجماعي من أجل إخراج صامويل من السجن، لأنه اتضح أن امرأة تعدَّى عليها بالضرب لها أصدقاء في مناصب عليا، وقدمت شكوى للشرطة. جادل بيدرو بأنه علينا تركه هناك، لتلقينه درسًا. ربما كان يعلم أن صامويل قد فعل ما أراد كل فرد في المجموعة، باستثناء راموس، القيام به: مضاجعة زوجة بيدرو، مارا، ذات البشرة

البيضاء والشعر الطويل المنسدل. رفضنا فكرة أي نوعٍ من العقاب التحذيري لصامويل، إذ كان نادي يخنة لحم البقر يتولى العناية بأعضائه. لم يكن الأمر مجرد تخليص صامويل من المأزق، بل كان متعلقًا باختبار مدى نفوذنا في المدينة. كان صامويل قد أخبرني بالفعل أنه عاجز جنسيًّا، وأن حتى ضرب امرأة لم يعد يكفي لإثارته، بل إنه لوَّح بعجزه هذا بوصفه إدانة لكل التجارب التي لم نخضها في العشرين عامًا الماضية. "لقد فعلت هذا من أجلكم، أيها الأوغاد! إن عضوي المرتخي هو مسيح هذه المجموعة، الميت على الصليب؛ لقد صرت عاجزًا من أجلكم!". كانت ليفيا على قناعة بأن صامويل بمنزلة دودة خبيثة، يريد الإمساك بي من كاحلي، وسحبي إلى متاهته تحت سطح الأرض، بالقرب من الجحيم وبعيدًا عنها، اعتادت القول: "إنه حتى يشبه الدودة!".

- لا، يا ليفيا، إنه ليس صامويل.
- من يكون إذن، يا زي؟

اسم زي هو اختصار لاسم زينو، الذي هو اختصار لدانيالزينو، لقد عثرت على السيدة سنجاب خاصتي.

- ليس أحدًا ممن سبق وأن التقيتِ بهم من قبل.

كدتُ أخبرها أن الشخص الذي بصحبتي هو في الواقع نقيض صامويل، صديق جديد كان مهذبًا ولطيفًا وأنيقًا، وكما افترضت أيضًا، يتمتع بأسنان جيدة، ولا يشكل تهديدًا لأحدٍ.

كم كنت جاهلًا.

في تلك الليلة، قرب نهاية فبراير من العام الماضي، أراني لوسيديو قشرة السمكة، قشرة سمكة صغيرة مغلَّفة بالبلاستيك، بطول سنتيمترين تقريبًا، مع إيديوجرام مرسوم باللون الأبيض على البلاستيك، بالتباين مع اللون الأحمر لقشرة السمكة نفسها. أخرجها

بعنايـة مـن محفظتـه، لا أدري مـا إذا كان يحمـل قـشرة السـمكة عـلى الـدوام في محفظتـه، أم أنـه تـدرَّب عـلى تلـك اللحظـة، أمسـك لوسـيديو بقـشرة السـمكة أمـام عينـي، وقـال:

- أنا الرجل الوحيد في العالم الغربي الذي يمتلك واحدة من هذه.

- ما هي؟

- إنهـا قـشرة مـن سـمكة فوجـو، فأنـا أنتمـي إلى جمعيـة سريـة تجتمـع مـرة كل عـام في كوشـيموتو باليابـان لتنـاول سـمك الفوجـو الطـازج. أنـا ورجـل صينـي آخـر العضـوان الوحيـدان غـير اليابانيـين في الجمعيـة، أو بالأحـرى، كنَّـا كذلـك، لقـد مـات في الاجتـماع الأخـير.

- كيف؟

- لقـد تسـمَّم؛ الفوجـو سـمكة سامة، إذا لم يتـم تحضيرهـا مـن قِبَـل خبـير مـدرب عـلى تقطيـع الأسـماك بطريقـة معينـة، يمكـن أن تتسـبَّب في المـوت في غضـون دقائـق، اسـتغرق الرجـل الصينـي ثمـاني دقائـق ليمـوت، كانـت ميتـة بشـعة.

ابتسـمتُ، أو عـلى الأقـل أعتقـد أنني فعلـتُ، كي أعـرف فقـط مـا إذا كان هـذا الأمـر برمتـه مزحـة، لكـن ابتسـامة لوسـيديو الخفيفـة اختفـت، لم يكـن الأمـر مزحـة. واصـل قائـلًا:

- يسـتغرق تدريـب طاهـي سـمك الفوجـو ثـلاث سـنوات، وفي كل عـامٍ، تحـدِّد الجمعيـة نوعًـا مـن الاختبـار النهـائي لمعرفـة مـن سيحصل عـلى لقـب سـيد الفوجـو. دومًـا مـا تتألَّـف الدفعـة مـن عـشرة طـلاب، ويسـتخدم كل طالـب متطوعًـا لتـذوق الفوجـو الطـازج الـذي أعـده للامتحـان، إذا أُعـدَّت السـمكة بشـكل سـيئ، سـيموت المتطـوع في غضـون دقائـق.

- وماذا يحدث للطالب؟

- يعيد السنة.

- والجمعية مؤلفة من هؤلاء المتطوعين...

- بالضبط، جمعية مؤلفة من عشرة أعضاء، ونظرًا إلى أن معدل الرسوب في الدورة يبلغ ثلاثين في المائة، ويموت ثلاثة متطوعين في المتوسط في كل اختبار، يتم تجديد الأعضاء باستمرارٍ، لكن هناك قائمة انتظار للأشخاص الراغبين في الانضمام إلى الجمعية، كان عليَّ الانتظار سبع سنوات.

- هل يكسب المتطوع أي شيء من المشاركة في الاختبار؟

ابتسم، وكادت ابتسامته هذه المرة تصبح حقيقية تقريبًا.

- لم أكن لأتوقع منك مثل هذا السؤال.

- إذن لماذا...

- لا يوجد شيء في العالم يمكن أن يضاهي طعم الفوجو النيء، يا دانيال. وتزداد متعة تناول الفوجو ثلاثة أضعاف بسبب خطر الموت؛ إن احتمالية الموت في أي لحظة، في ثوانٍ، ينتج عنها تفاعل كيميائي يزيد نكهة الفوجو. في اليابان، يمكن لأي شخص أن يأكل الفوجو الذي أعده طهاة متخصصون وبأقل قدرٍ من المخاطر، ولكن فقط في كوشيموتو، ولمرة واحدة في السنة، يمكنك أن تتناول الفوجو مع احتمالٍ حقيقي بعدم النجاة بعد أول قضمة، لا توجد تجربة لتذوق الطعام تضاهي ذلك. هذا هو السبب وراء كون الجمعية سرية، إنه نادي الذواقة الأكثر تميزًا في العالم، ولا وجود للاختبار في الأساس حتى، على الصعيد الرسمي.

- كيف عرفت بأمره؟

- تصادف وأن أخبرت صديقًا يابانيًّا أنني جرَّبت كل ما هو متاح للتجربة، وأنني أعتقد أنه من غير المرجح بدرجة كبيرة

أنني سأحظى بتجربة جديدة في تذوق الطعام، فقال: "هل تريد الرهان؟"، ومن الغريب أننا التقينا أيضًا بالصدفة في أحد متاجر النبيذ.

- وكان هو عضوًا في الجمعية.

- أجل، بضربة قدرٍ ساخرة، حللتُ محله، لقد مات سعيدًا، كان يمتلك قشرتيْ سمكة.

- اثنتين؟

- أي شخص ينجو من عشرة اجتماعات، أي عشر سنوات، يحصل على قشرة سمكة مثل هذه، لقد نجا من عشرين عامًا من الفوجو المنكَّه بالخوف.

- ما هذا المكتوب على البلاستيك؟

- إنه إيديوجرام ياباني يمكن ترجمته بعدة طرقٍ، يمكن أن يكون: "كل رغبة هي رغبة في الموت"، أو "الجوع حوذي أصم"، أو "الحكيم والرجل الحصيف يأكلان بنفس الأسنان".

- كل هذا في إيديوجرام واحد؟

- أنت تعرف طبيعة أولئك الشرقيين.

- كم عدد هذه الاختبارات التي شاركت فيها؟

- سبعة عشر.

مال لوسيديو إلى الأمام كما لو أنه سيهمس بسرٍّ.

- وفي كل مرة يصيبني ذلك بالإثارة بدرجة أكبر.

شربنا زجاجتين من نبيذ أورميس دي بيز، وعدة كؤوس من الكونياك، لكن لوسيديو لم يرخِ ولو للحظة وضعية جلوسه الجامدة، ولم يفقد ابتسامته الخفيفة المتعاطفة، بل لم يحل حتى ربطة عنقه.

عندما قلت إنني جائعٌ، عرض أن يصنع عجة، وقام بعمل عجة لم أتذوق مثلها منذ وقتٍ طويلٍ. حمَّرها إلى حد الكمال من الخارج، بينما لا تزال رطبة من الداخل، وانزلقت فوق الطبق بتجانس مثل رحيق الآلهة. كان قد تعلَّم كيفية طهي العجة في باريس، حيث عاش بعض الوقت. تحدثنا أكثر من ساعة عن العجة وأسرارها. سألت عن تخصصه، فيما عدا العجة، فقال إنه متخصص في المطبخ الفرنسي الكلاسيكي، وأنه، من بين أشياء أخرى، يعد فخذ الضأن على نحوٍ رائعٍ للغاية. لا أستطيع أن أتذكر الآن ما إذا كنت قد ذكرت له حينها أنه تصادف أن هذا هو طبقي المفضَّل. أعلم الآن أن الأمر لم يكن من قبيل الصدفة. أخبرته أن القلق يساورني بشأن مأدبة العشاء الأولى في الموسم لنادي يخنة لحم البقر، في الشهر التالي، التي كنت مسؤولًا عنها. كان عشاءً مهمًّا؛ كان هذا هو العام الذي إما يخرج فيه النادي من الاكتئاب التالي لموت راموس، وإما ينهار تمامًا. بعد عشاء الكريسماس الكارثي في منزل تياجو، قد يصبح من الصعب حتى أن نتجمَّع جميعًا حول نفس المائدة مرة أخرى، ناهيك بالنساء. في خلال واحد وعشرين عامًا، كان للأعضاء العشرة عشرين زوجة أو شريكة بالضبط فيما بيننا، بما في ذلك زوجاتي الثلاث، وجيزيلا، الفتاة المراهقة التي تولَّى أبيل العناية بها بعد طلاقه من نورينيا، والمرأتان اللتان رافقهما بيدرو بعد مارا، بما في ذلك تلك التي انفجرت في البكاء الهستيري عندما قابلت صامويل، الذي بدا من الواضح أنها التقت به من قبل. في تلك اللحظة، على حد علمي، كان لدى ستة من الأعضاء شريكات. رفضت ليفيا أن يكون لها أي علاقة بمآدب العشاء، وكثيرًا ما طلبت مني مغادرة المجموعة واستغلال ذلك الانقطاع في العلاقة كنقطة انطلاق لاتباع نظام غذائي سليم ومحاولة إعادة بناء حياتي، إذا أردت، يمكنني العودة إلى العمل أو نشر قصصي الغريبة.

عـرض لوسـيديو مسـاعدتي في أمـر مأدبـة العشـاء، قبلـت، وكان السـبب في ذلـك بدرجـة كبـيرة هـو أنـني أردت تقديمـه للآخريـن. قـال إنـه يفضِّـل عـدم الكشـف عـن هويتـه، لـن يكـون عضـوًا في النـادي، وسـيبقى في المطبـخ. اقترحـت عليـه إعـداد فخـذ الضـأن، لكنـه قـال شـيئًا وجدتـه مثـيراً للاهتـمام حينهـا.

- لا، سأترك ذلك حتى النهاية.

ثم تجوَّل في المطبخ ليجرد الأواني والمقالي.

***

بعـد خمـس دقائـق مـن مغـادرة لوسـيديو شـقتي، وبعـد أن رفـض عـرضي بـأن أطلـب لـه سـيارة أجـرة ("أسـكن في مـكان قريـب")، وصافـح يـدي وهـو ينحنـي في نفـس الوقـت انحنـاءة رسـمية وجيـزة وقـد ضـمَّ قدميـه معًـا، عـلى الرغـم مـن درجـة الحميميـة التـي شـعرت أننـا وصلنـا إليهـا بالفعـل، اتصلـت ليديـا هاتفيًـا، دائمًـا مـا كانـت تتصـل في وقـتٍ متأخـرٍ مـن الليـل لمعرفـة مـا أكلتـه، ومـا إذا نجحـت في إبعـاد الذئـاب.

- من الذي كان برفقتك، يا زي؟

- سأخبرك لاحقًا.

- هل كانت امرأة؟

- لا، لم يكن كذلك، سأخبرك عن ذلك لاحقًا.

ترى من الذي كان موجودًا هناك بالتحديد؟

قبـل رحيلـه، وبعـد تدويـن رقـم هاتفـي، سـأل لوسـيديو عـمَّ إذا كان في إمكانـه إعطـائي نصيحـة بشـأن العشـاء.

- نعم، بالطبع، تفضل.

- لا توجِّه الدعوة إلى النساء.

3

العشاء الأول



في اليوم التالي، جاءت مكالمة هاتفية من لوسيديو، وشرع يوضح من يكون: "لقد صنعت لك عجة...". قاطعته قائلًا: "أجل، أجل، كيف حالك؟". قال إنه بدأ في جمع المكونات اللازمة لمأدبة العشاء، على الرغم من أنها كانت لا تزال بعد أسبوعين، قرر بالفعل ما سوف يعده: لحم بقر بورغينيون.

- أوه، سوف يستمتع أبيل بذلك، هذا هو طبقه المفضل.

- أجل، أعلم هذا.

هل قال: "أجل، أعلم هذا"؟ لا أدري، سألني عمَّ إذا كان لديَّ في مطبخي أداة معينة سيحتاج إليها، وقلت إنها موجودة عندي. ثم

سأل عن الترتيبات التي اتخذناها لتقديم الطعام، وهل سيكون هناك أي شخص للمساعدة؟ قلت إن زوجة والدي سترسل بعض العاملين لديها، قال إنه يفضِّل العمل بمفرده، سيتولَّى الطبخ، وأتولَّى أنا التقديم. قلتُ: "حسنًا"، وأخبرته أنني أريد دفع ثمن المكونات التي يشتريها، قال: "سوف نتحاسب لاحقًا"، ثم أضاف:

- هل تحدثت إلى الآخرين بعد؟
- ليس بعد.
- فلتبدأ بأبيل.

كان هذا هو كل ما ينقصني، شخص آخر مثل ليفيا، يأمرني ويحاول تنظيم حياتي، لكن عليَّ الاعتراف أنني أحببت تدخُّله، كان رجلًا مثيرًا للاهتمام، على الرغم من سلوكه الرسمي وتلك الابتسامة الثابتة الفظيعة. تحرقت شوقًا إلى تقديمه إلى الآخرين وأرى رد فعلهم على قصته بخصوص سمك الفوجو والجمعية السرية، تُرى ما هي القصص الأخرى التي قد تكون في جعبته؟ كلما كانت غير معقولة، ازداد احتمال تصديقي لها، وسيكون من الجيد ألا أضطر إلى مواجهة ذلك العشاء الأول من الموسم الجديد بمفردي، وأن يكون لديَّ شيء جديد لأقدمه إلى زملائي الأعضاء. ربما كان هذا بالضبط هو ما نفتقر إليه، ربما سيتولى لوسيديو تنظيم حيواتنا جميعًا. نعم، إن الرجل الذي يخاطر بحياته من أجل تذوق سمكة قاتلة، هو بالضبط ما نحتاج إليه لاستعادة إحساسنا بالوحدة وإخراجنا من دوامة المرارة والاتهامات المتبادلة التي أغرقنا فيها موت راموس. ففي النهاية، كنَّا ذواقة، وليس جيلًا مصابًا باللعنة، ولا جماعة دينية يمزقها الشك. وحتى لو كان قد اختلق تلك القصة بخصوص سمك الفوجو، فقد كان ذلك مصدرًا للإلهام. وإذا كان في إمكانك الحكم على شخصٍ ما من خلال العجة وحدها، فسوف يكون العشاء ممتازًا.

***

بدأت بأبيل، الذي كما توقعت، لم يظهر سوى القليل من الحماس لاستمرار وجود النادي.

- لا أدري، يا دانيال، ربما علينا أن نأخذ راحة لهذا العام.

- أبيل...

- كان ذلك العشاء الأخير مؤلمًا...

- سيكون الطبق الرئيسي لحم بقر بورغينيون، يا أبيل.

- أوه، حقًّا؟

لم يكن في حاجة إلى المزيد من الإقناع.

- هل ستعد تلك الحلوى خاصتك؟ المصنوعة من الموز؟

- أجل، يا أبيل.

- في الوقت المعتاد، إذن، في الساعة التاسعة؟

- في الوقت المعتاد.

بعد ذلك اتصلت بجواو، الذي أظهر تردُّده هو الآخر، قد يأتي أو قد لا يأتي. كان يفكر بالفعل في ترك النادي؛ أظهر له عشاء عيد الميلاد أنه آن الأوان للتوقف، "وإلا فسوف ينتهي بي الأمر بلكم باولو". طوال واحد وعشرين عامًا، كانت المرة الوحيدة التي غاب فيها جواو عن عشاء النادي هي حينما اضطر إلى الاختباء من أجل الهروب من بعض الأشخاص الذين خسر أموالهم والذين أرادوا قتله، وبالتالي، وفقًا لصامويل، كشفوا عن جهلهم المروع بالروح الرأسمالية. اقترح صامويل على الدائنين أنه بدلًا من قتل جواو، عليهم ببساطة كسر العديد من عظامه، باستثناء تلك التي يحتاج إليها لاسترداد أموالهم. حتى إنه وضع قائمة بالعظام التي لن يحتاج إليها جواو لكسب ما يكفي من المال لسداد أموالهم جميعًا. لكنه كان أيضًا أكثر من ساعد جواو،

حيث ذهب إلى حد إخفائه في شقته بعيدًا عن الدائنين الغاضبين. ومن هناك كان يوافينا بأخبار دورية عن ذلك اللاجئ: "إنه في حالة معنوية ممتازة، إلى درجة أنني لا أستطيع حتى إقناعه بالانتحار". واختتم حديثه بإحدى اقتباساته الغامضة: "أحد أكبر أوهام الإنسان هو وجود الشعور بالندم".

قلت:

- لماذا لا تمنح الأمر فرصة أخرى، يا جواو؟ ففي النهاية، لقد بقينا معًا طيلة واحد وعشرين عامًا.

- لا أدري...

من مخبئه في شقة صامويل، توصَّل جواو في النهاية إلى اتفاق مع دائنيه، لكنه لم ينصلح. لطالما كان كاذبًا منذ صباه، واعتمد على موهبته الفطرية للحصول على المال من الناس، ثم الإتيان بتفسير لسبب اختفاء الأموال. كانت تلك هي المرة الأولى فقط من الأوقات العصيبة العديدة التي دمرت زواجه وسمعته الطيبة، لكنها لم تدمر حس الدعابة لديه وقدرته على إلقاء النكات. في عشاء عيد الميلاد، صاح باولو: "أوه، لا!"، عندما أطلق جواو نكتة أخرى، واتهمه باولو بأنه يجسد الصورة النمطية المثالية للنخبة البرازيلية: شخص يتجول وسط الأنقاض، حتى أنقاض حياته هو، ملوحًا بتفاهته الشخصية كما لو أنها بمنزلة تصريح بالمرور الآمن، أو كإعفاء مسبق من المسؤولية، وقال إن إلقاء واحدة أخرى من نكاته في تلك اللحظة بالذات سيكون أمرًا فظيعًا، ومن الواضح أن جواو لم يكن نادمًا، لكنه قد يتمتع بما يكفي من اللياقة للتوقف عن إلقاء النكات. وردَّ عليه جواو بأنه على الأقل لم يكن شيوعيًّا وانتهى به المطاف بلعق حذاء بيدرو، رجل الصناعة في مجموعتنا، والدفاع عن شركة بيدرو ضد المضربين بنفس الضراوة التي هاجم بها الرأسمالية من قبل خلال فترة عمله كنائبٍ.

وعندما حاول أبيل تهدئتهما، نال نصيبه هو الآخر من باولو، الذي قال إنه ليس لديه استعداد لتحمُّل نبرته الورعة دقيقة أخرى، لا سيما بالنظر إلى أن أبيل لم يكن معروفًا فقط بكونه واحدًا من أخبث المحامين وأكثرهم نذالة في ولاية ريو بأكملها، ولكنه كان أيضًا متحرشًا بالأطفال... انتهى الجدال بجيزيلا وهي تلاحق باولو كي تدس بطاقة هويتها تحت أنفه لإثبات أنها تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا. في النهاية، اقتبس صامويل عبارة لاتينية: "Si recte calculam pon-as, ubique naufragium est"، وعند رؤية وجوه الجميع التي ارتسم عليها الغضب والترقب، وقد نفد صبرهم بسعة معرفته اللعينة، ترجمها كالتالي: "مهما كانت حساباتك دقيقة، فإن كل شيء ينتهي به المطاف حطامًا كالسفينة، بترونيوس، من كتاب ساتريكون". بعد فترة طويلة من الصمت، قال باولو: "فلتذهب إلى الحجيم، يا صامويل". فرفع صامويل كأسه، وقال: "وعيد ميلاد سعيد لك أيضًا يا باولو"، انتهى العشاء وقد أوشكت زوجة باولو الجديدة وجيزيلا الشابة على تبادل الضربات.

- في الساعة التاسعة إذن، يا جواو.

- سوف نرى.

***

عند نهاية عشاء عيد الميلاد الرهيب ذاك، لم يبق سواي أنا، وباولو، وزوجته، ومضيفنا تياجو، وجميعنا ثملون للغاية، نجري تشريحًا لأحداث الليلة، أخذ باولو وجهي بين يدي، وقال:

- ماذا فعلتُ بحياتي يا دانيال؟ ماذا فعلتُ بحياتي؟

تمكَّنت بالكاد من إبقاء عينيَّ مفتوحتين. نامت زوجة باولو على الأريكة. أخذ تياجو، فتى الشوكولاتة -العضو الوحيد في المجموعة

الـذي يـكاد يضاهينـي سـمنة- يرقـص وهـو يحتضـن زجاجـة كونيـاك إلى صـدره.

صاح باولو، وهو لا يزال ممسكًا بوجهي بين يديه:

- أنا مجرد كومة من الخراء.

صاح تياجو:

- لا، أنا كومة من الخراء! هل تعرف ماذا أكون؟

أصرَّ باولو قائلًا:

- لا، أنا كومة من الخراء!
- هل تعرف ماذا أكون؟ أنا فاشل تمامًا.
- انظر، أنا كومة من الخراء!
- أنا كومة فاشلة من الخراء، أنا كومة خراء أكبر منك.

اضطر باولو إلى ترك وجهي كي يمسك برأس تياجو.

- انظر، أنا كومة خراء أكبر من أي واحد منكم!
- لماذا؟
- لأننـي كنـت أفضـل منكـم جميعًـا، كنـت الأفضـل! لم يسـتغرق الأمـر الكثـير بالنسـبة إليكـم لتصبحـوا أكوامًـا مـن الخـراء، لكـن كان لـديَّ طريـقٌ طويـلٌ للسـقوط، لهـذا فأنـا أكـبر كومـة خـراء مـن بينكـم جميعًـا.

بعـد ذلـك، أمسـك تياجـو وجهـي بـين يديـه، وسـألني عـن رأيـي بعـد أن ألقـى زجاجـة الكونيـاك عـلى الأرض.

- دانيال، مَن برأيك أكبر كومة من الخراء؟

لكنني لم أكن في حالة تسمح لي بإصدار حكم موضوعي، كنَّا جميعًا أكوامًا من الخراء. قبل سنواتٍ، سرت شائعة مفادها أن باولو أعطى شرطة الأمن أسماء وعناوين بعض زملائه المختبئين، لم نحاول معرفة الحقيقة قطُّ، حيث إن نادي يخنة لحم البقر يتولَّى العناية بأعضائه.

لدهشتي، أتى الجميع إلى مأدبة العشاء الأولى للموسم الجديد. طلب مني لوسيديو عناوين الجميع، وأرسل إلى كل عضو نسخة من قائمة الطعام، التي صمَّمها بذوقٍ رفيعٍ على جهاز الكمبيوتر وزيَّنها بزخارف عتيقة الطراز، وأسفلها جملة تعلن أن العشاء سيكون للرجال فقط. لم نقُم بأي شيء فاخر إلى هذا الحد منذ وفاة راموس. طوال أسبوعين، ظلَّ لوسيديو يدخل ويخرج من شقتي، وهو فائق الوقار وبالغ الأناقة على الدوام، ليعد كل شيء لليلة الكبيرة، وأظهر التفاني في الاهتمام بالتفاصيل بدرجة شارفت حد الهوس، إلا أنه كان هوسًا منهجيًّا رصينًا. لحُسن الحظ، لم تتزامن أي من زياراته مع إحدى زيارات ليفيا للتفتيش. في الواقع، عندما أفكر في الأمر، لم يسبق وأن رأت ليفيا لوسيديو على الإطلاق من قبل. في يوم مأدبة العشاء، وصل في السابعة صباحًا وأمضى اليوم كله في المطبخ، الذي لم أدخله إلا مرة واحدة امتثالًا لتعليماته، لتحضير حلواي المصنوعة من الموز. حينها رأيت أنه يرتدي مئزرًا ضخمًا يصل طوله إلى الكاحل تقريبًا، وقبعة طاهٍ أصلية، وربطة عنق بالطبع.

كان أول من وصل هو أندريه، الذي حلَّ مكان راموس في النادي، كان يمتلك شركة أدوية، وربما كان أكثرنا ثراء، بالنظر إلى النكسات المالية الأخيرة التي تعرَّض لها جواو، وشركة بيدرو التي شارفت الإفلاس. وعلى الرغم من السنتين اللتين قضاهما كعضوٍ في النادي، فإنه كان لا يزال غير مندمجٍ في المجموعة كما يجب، وكان يشعر بالرعب نوعًا ما من ثرثرة باولو، وعدوانية صامويل، وميل المجموعة المتزايد نحو الفوضى. كان صاحب اقتراح ترشيحه كعضو هو ساولو، الذي يعمل

كمسؤول العلاقات العامة لشركته، وقد تناولنا العشاء في قصره مرتين، حيث قدم البايلا، وهي تخصُّصه، في كلتا المناسبتين. كان رجلًا خجولًا ومهذبًا، أكبر سنًّا بكثيرٍ من بقيتنا. بدت بشرة وجه زوجته مشدودة بسبب الإفراط في عمليات التجميل، وفي عشاء عيد الميلاد، أبدت ردَّ فعلٍ ساخطًا حيال تعليق أدلى به صامويل إلى زوجها، إلى أن أوضح أندريه أن "وغدًا" تعبيرٌ ينمُّ عن المودة، استخدم صامويل تعبير "وغد" بالمعنى الجيد للكلمة. انضم أندريه المسكين إلى المجموعة على أمل العثور على رفقة ممتعة من الأشخاص المتحضرين، le crème de le crème، كما قالت زوجته بالفرنسية عندما قابلتنا أول مرة، وأخطأت في استخدام أداة التعريف. لكنه وجد نفسه بدلًا من ذلك في حفلٍ خاصٍّ لا نهاية له مليء بالضيوف المستائين، بينما يراقبه ساولو بتوترٍ، إذ انتابه القلق بشأن الآثار التي قد تنعكس على علاقتهما في العمل بسبب غرابة أطوارنا. لا أدري لماذا لم يترك أندريه المجموعة فحسب، إذ لم يعوض الطعام حتى شعوره البادي بعدم الارتياح وسطنا، لأن مآدب العشاء ازدادت سوءًا مع تزايد سوء التفاهم بيننا. لكن على حد تعبير ساولو، لا يمكن أن يتوقَّع المرء حسًّا نقديًا صائبًا من شخص معياره في التذوق هو البايلا.

قال أندريه:

- أعجبتني قائمة الطعام المطبوعة.

وصل صامويل بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ، ملوحًا بنفس قائمة الطعام.

- مَن صاحب هذه الفكرة المبتذلة؟ هذا بالضبط ذلك النوع من الأشياء التي كان يفعلها راموس.

بالصدفة، وصل جواو وباولو في نفس الوقت، بدا من الواضح أنهما لم يتبادلا الحديث مع بعضهما في المصعد. بقي جواو في غرفة المعيشة، بينما توجَّه باولو إلى غرفة مكتبي، لم يرغب في التحدث مع

أحدٍ، كما كان تياجو أيضًا في حالة مزاجية كئيبة، وارتمى على إحدى الأرائك. حضر ساولو وماركوس معًا كالمعتاد، وحذَّرني ساولو من أنه قد يضطر إلى المغادرة مبكرًا. كان أول سؤال لأبيل هو ما إذا كان باولو قد وصل، لأنه أراد الابتعاد عنه تمامًا. قال إنه موجودٌ من أجلي فقط، لأنها مأدبة عشائي، لكنه يفكر بجدية في ترك المجموعة. كان آخر من وصل هو بيدرو، تسبقه رائحة عطره. كان يعيش مع والدته، وكنَّا نشك في أن والدته، دونا نينا، ما زالت تحممه يوميًّا. عندما جاء بيدرو، كان بعض أفراد المجموعة في غرفة المكتب يشاهدون التلفزيون في صمتٍ، والآخرون كانوا ممددين على الأرائك البيضاء في غرفة المعيشة في كآبة وسكون، كما لو أنهم استسلموا لحقيقة أن لا أحد سيطلب منهم الرقص. إذا اضطررت إلى اختيار صورة تلخص النهاية الحزينة لنادي يخنة لحم البقر، فسوف تكون هذه هي الصورة. كنَّا أنا وأندريه فقط اللذين نتحدث، هو بدافع من التوتر، وأنا بدافع من التهذيب أو الاضطرار. ما أن وصل بيدرو، ناديت الجميع إلى غرفة المعيشة، وذهبت لجلب الشمبانيا. في المطبخ، أشار لوسيديو إلى الصينية الكبيرة من المقبلات التي أعدَّها، وأمرني بالعودة لأخذها بمجرد تقديم الشمبانيا. في غرفة المعيشة، قدَّمنا أنخابنا كالمعتاد، لكنها بدت متحفظة إلى حدٍّ ما هذه المرة. في البداية: "في نخب الجوع"، ثم "في نخب راموس". اقترح صامويل نخبًا ثالثًا: "في نخب صداقتنا"، لم يؤيِّده سوى أندريه، حتى أدرك أن القصد من التعليق كان ساخرًا. ذهبت لإحضار صينية المقبلات وقدمتها لكل ضيف. سأل باولو من يحضِّر الوجبة، حيث كانت هناك بعض الروائح الواعدة جدًّا التي تنبعث من المطبخ، بدأت أقول إنها مفاجأة، لكنني توقفت لأنني لمحت وجه جواو في تلك اللحظة، كان جواو قد ازدرد لتوِّه إحدى مقبلات لوسيديو.

سيكون القول بأن ملامحه أشرقت بمنزلة عبارة أدبية مبتذلة، لكن وجه جواو بدا كذلك بالفعل، تخضَّب وجهه من أثر المتعة. عندما أفكر اليوم في ذلك العشاء الأول وعواقبه، فهذه هي أكثر لحظة أتذكرها بوضوحٍ. لمستني مشاعر جواو، وما زالت تؤثِّر فيَّ حتى الآن. لأول مرة منذ سنوات عديدة، أعدت اكتشاف عاطفة من العواطف، ألا وهي الاستمتاع بسعادة صديق، وفكرت: لا يزال في إمكاننا خداع الزمن، ولا يزال من الممكن إنقاذ هذه المجموعة، ولا يزال في إمكاني النجاة. في النهاية، ليس كل شيء ينتهي به المطاف حطامًا كالسفينة. لا أعرف ما إذا كان جواو وغدًا أكثر من بقيتنا، فهذا يعتمد على معايير ذاتية تتغيَّر مع كل جيلٍ. في تلك اللحظة، فكرت في جواو قبل واحدٍ وعشرين عامًا، عندما لم يكن قد تعلَّم بعد أن تأثير النكات يضيع إذا بدأ يضحك قبل النهاية، وبقيتنا حول الطاولة نضربه لمحاولة إيقاف نوبة الضحك التي انتابته، حتى انفجر المطعم بأكمله في التصفيق عندما تمكَّن أخيراً من التفوُّه بنهاية النكتة: "لا، إن ثوبي الكهنوتي ليس مصنوعًا من البرونز!". نظرت إلى أبيل، المسكين أبيل، في تلك اللحظة، كان منتشيًا إلى درجة أنه، مثل جواو، لم يستطع التحدث. كان بيدرو هو الذي قال: "هذه المقبلات لذيذة!"، وتبعته الهمهمات من الآخرين وهم يبدون موافقتهم. جرَّبتُ تناول واحدة، كانت مصنوعة من البصل المبشور والجبن، لكن لا بد أنها كانت تحتوي على ما هو أكثر من ذلك. أيًّا كان الأمر، فقد فهمت حينها سبب إشراق ملامح جواو، وتعبيرات أبيل الرائعة. عندما تمكَّن أبيل من الحديث أخيراً، قال: "إنها لحظة سحرية يا رفاق، لحظة سحرية".

كان العشاء بأكمله رائعًا. تبعنا المقبلات بالخرشوف المتبَّل بالخل، وعندما أحضرت لحم بقر بورغينيون من المطبخ، دفع ذلك أبيل إلى أن يقول "يا إلهي!" عندما رآه، واستقبلني صخب حماسي من حول المائدة. أرادوا معرفة مَن يكون الطاهي الغامض. أخبرتهم عن

لوسـيديو، أو القليـل الـذي أعرفـه عنـه: اللقـاء في متجـر النبيـذ، وعجـة البيـض المثاليـة، التـي دفعتنـي إلى قبـول عرضـه للطهـي للمجموعـة، وقصتـه عـن الفوجـو والجمعيـة السريـة. قـال أحدهـم: "هـذا الرجـل ليـس لـه وجـود، أنـت تختلـق هـذا الأمـر!". قـال باولـو إنـه قـرأ شـيئًا عـن جمعيـة كهـذه، لكـن في روايـة فقـط، قـال بيـدرو وفمـه مـليء باللحـم: "هـذا غـير صحيـح، إنـه يمازحـك". قـال تياجـو إن لوسـيديو قـد يكـون محتـالًا، بـل ربمـا اختلقتـه حتـى، لكنـه طبـاخٌ رائـعٌ. قـال ماركـوس: "إن الرجـل عبقـري!"، وصمَّـم عـلى أن أجلبـه مـن المطبـخ لأثبـت وجـوده وليتلقَّـى التحيـة مـن المجموعـة. قلـت: "فلتهـدأ"، مـن دون أن تكـون لـديَّ أي نيـة عـلى الإطـلاق لمغـادرة مـكاني قبـل الانتهـاء أولًا مـن أفضـل لحـم بقـر بورغينيـون تناولتـه في حيـاتي عـلى الإطـلاق. كان أبيـل يمضـغ وعينـاه مغمضتـان، كـرَّر قائـلًا مـرة أخـرى: "يـا إلهـي!"، وعندمـا انتهـى مـن الأكل، قـال بجديـة: "الآن يمكننـي أن أمـوت"، مـما أثـار موجـة مـن الضحـك الصاخـب. نـدَّت أعـلى ضحكـة عـن باولـو، تصالـح أعضـاء المجموعـة، ونجـح لوسـيديو في أن يجذبنـا مـن حافـة الهاويـة.

في المطبـخ، أخـبرني لوسـيديو أنـه لم يتبـقَّ مـن لحـم بقـر بورغينيـون سـوى قـدر يكفـي شـخصًا واحـدًا، وشـخصًا واحـدًا فقـط. أبلغتهـم المعلومـة، وسـألت عـمَّ إذا كان هنـاك مـن يرغـب في المزيـد، بعضهـم لم يحـر جوابًـا حتـى، بـل اكتفـوا بالتـأوُّه فحسـب، للإشـارة إلى أنهـم نالـوا مـا فيـه الكفايـة، لكـن أبيـل قـال:

- لا أستطيع المقاومة، أرغب في تناول المزيد.

جلبـتُ الحصـة الأخـيرة مـن لحـم بقـر بورغينيـون مـن المطبـخ ووضعتهـا أمامـه، وسـط تصفيـق الضيـوف الآخريـن، أفـرغ أبيـل الطبـق في ثـوان.

لم أبخل بنبيذ بوردو في مأدبة العشاء الخاصة تلك. عندما أحضرت الحلوى، مع الإعلان عن أن طاهينا سيظهر قريبًا، كانت هناك هالة من المتعة تكاد تكون ملموسة، تحوم فوق المجموعة حول المائدة. لم تخيب حلوى الموز خاصتي التوقعات، وتلقَّت الإشادة بإسرافٍ، صاح ماركوس: "يا لها من وجبة!"، ونهض جواو من كرسيه ليطبع قبلة أعلى رأسي. قال أبيل والدموع في عينيه: " يا له من شيء مؤسف أن راموس ليس هنا"، ووافقه الجميع. قدمت القهوة أيضًا، وكذلك السيجار والكونياك، جرى العرف على أن هذه اللحظة خاصة براموس، وهي اللحظة التي ينهض فيها دائمًا واقفًا على قدميه لإلقاء خطاب، مع كأس كونياك في يد وسيجار في اليد الأخرى، يلوح به على نحو مسرحي. بعد وفاته، لم يحل أحد محله كخطيبٍ في تلك اللحظة العامرة بالوفرة، التي لم تعد كما كانت من قبل قطُّ. ذات مرة، قبل عشر سنوات، نهض راموس ووقف فترة طويلة، وهو يحدق إلينا بمودة قبل الشروع في الحديث، تأمَّلنا الواحد تلو الآخر، كما لو أنه يباركنا، ثم قال: "تشبَّثوا بهذه اللحظة، سوف نتذكرها ذات يومٍ، وسنقول "لقد كانت أفضل لحظاتنا"، وسنقارنها بلحظاتٍ أخرى في حياتنا، وسنقول أنه لم تأتِ أي لحظة أخرى على الإطلاق تشبه هذه تمامًا. سوف نشبع شهيتنا مرة أخرى بالطبع، لأن هذه هي الطبيعة الميمونة للشهية. لا يشعر المرء كل يوم بالرغبة في رؤية لوحة مفرطة الحلاوة لفان جوخ، أو سماع فوغا حريفة من تأليف باخ، أو مضاجعة امرأة بضة الجسد، لكننا نرغب في الأكل كل يومٍ. إن الجوع رغبة متكررة، وهو الرغبة المتكررة الوحيدة، إذ إن متع البصر والسمع والجنس والقوة تنتهي جميعًا، ولكن الجوع يستمر، وفي حين قد يسأم المرء من موسيقى رافيل إلى الأبد، إلا أنه لا يمكنه السأم من الرافيولي سوى يومٍ واحدٍ على الأكثر". ربما قال "باتشيلبيل" و"بشاميل"، بدلًا من "رافيل" و"رافيولي"، فأنا أقتبس حديثه من الذاكرة. واصل راموس

قائـلًا: "لكـن حتـى لـو أشـبعنا شـهيتنا كـما فعلنـا الآن، فلـن نشـبع أبـدًا بنفـس الطريقـة كـما نحـن الآن، عامريـن بفضائلنـا، ومتعتنـا بالصداقـة والطعـام والحيـاة، والكونيـاك". ثـم رفـع كأسـه، وجعـل الجميـع يفعلـون الـشيء نفسـه. "أيهـا السـادة، فلتبتهجـوا! لقـد بلغنـا الـذروة". تنـاول الجميـع الـشراب، ثـم قـال: "فلتبكـوا، أيهـا السـادة، لقـد بـدأ انحدارنـا للتـوِّ". وتناولنـا الـشراب جميعًـا مـرة أخـرى، ونحـن نشـعر بالبهجـة أكـثر مـن أي وقـتٍ مـضى، في تلـك الليلـة، كانـت السـاعة الخامسـة صباحًـا عندمـا غادرنـا الطاولـة.

نهـض أبيـل واقفًـا عـلى قدميـه، لأول مـرة منـذ وفـاة رامـوس، كان أحدهـم عـلى وشـك إلقـاء خطـاب بينـما نحـن نـشرب الكونيـاك.

- لديَّ شيء واحد فقط لأقوله عن مأدبة عشائك، يا دانيال.

انتظرنا جميعًا بترقبٍ، نطق أبيل كل مقطع لفظي بتأكيدٍ، وقال:

- لقد كانت فائقة الروعة!

صفـق الجميـع، وبـدا التأثُّـر عـلى أندريـه، وقـد اسـتعدنا جاذبيتنـا في نظـره. بـدا هـذا أشـبه بنـادي يخنـة لحـم البقـر الـذي سـمع عنـه كثـيراً. رفعنـا كـؤوس الكونيـاك نحـو أبيـل. بطريقـة مـا، كان قـد ردَّد خطـاب رامـوس "حـول الوفـرة". ربمـا لا نكـون قـد اسـتعدنا ذروتنـا، بعـد عـشر سـنوات مـن مباركـة رامـوس لنـا، لكننـا اقتربنـا، قريبًـا مـن أفضـل لحظاتنـا، وقريبًـا مـن حيواتنـا المفقـودة، وقريبًـا مـن رامـوس، هـذا هـو مـا قالـه أبيـل، باختصـارٍ. أبيـل المسـكين، أول مـن مـات، تمامًـا كـما في الكتـاب المقـدس.

بعـد أشـهر، بعـد حالـة الوفـاة السادسـة، وعقـب السـهر عنـد جثـمان الميـت قبـل دفنـه في شـهر يوليـو، ذكَّـرت صامويـل بالعبـارة التـي تفـوَّه بهـا لوسـيديو عندمـا ظهـر كالمنتـصر أخـيراً في غرفـة الطعـام في تلـك الليلـة،

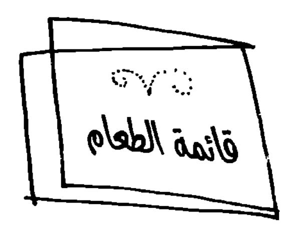
وسـط هتافـات المجموعـة. نهـض جـواو مـن مقعـده، وجثـا عـلى ركبتيـه أمـام لوسـيديو وطلـب تقبيـل يـده، فقـال لوسـيديو:

- دعني أمسحها أولًا، حيث تفوح منها رائحة الفناء.

قال صامويل:

- كان ذلك اقتباسًا، من الملك لير.

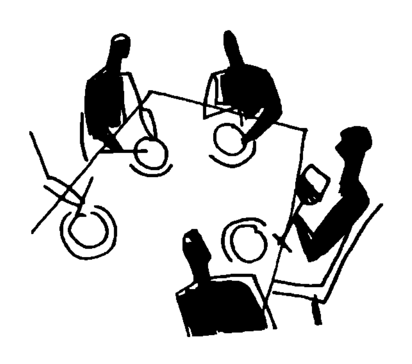
اللعنة على صامويل.





4

خطاب عن الرغبة الجنسية



دومًا ما تمدُّني زوجة والدي بالخدم كلما احتجت إليهم، وأعلم أنها تجتمع مع ليفيا بشكلٍ دوري لمناقشة حياتي. ينتابها نوعٌ من الرعب من الوجود حولي -أعتقد أن صندلي هو السبب وراء ذلك- وتفضِّل أداء دورها عن بُعدٍ، وتخصِّص لي بعض العاملين لديها من فريق التنظيف والصيانة لمساعدتي عند الضرورة. كنَّا قد اتفقنا أنها سترسل بعض الأشخاص لغسل الأطباق وتنظيف المطبخ وترتيب الشقة في الصباح التالي لمأدبة العشاء. انتُشلت من أعماق النوم بفعل طنين جهاز الانتركم، وصعدت نحو السطح ببطء كسمكة حرون، كنت لا

أزال مترنحًا بعد أن فتحت الباب لامرأتين شابتين مذهولتين، بذلتا قصارى جهدهما لتفادي التحديق إلى سراويلي الداخلي الضخم، عندما رنَّ جرس الهاتف؛ كانت ليفيا تريد أن تعرف كيف سار أمر العشاء.

- رائع، رائع للغاية؛ أفضل لحم بقر بورغينيون تذوَّقته على الإطلاق.

أخبرتها كيف سار كل شيء على ما يرام: الجو العام، والتصالح، والنجاح الذي حققه لوسيديو مع المجموعة، والحديث الذي استمر حتى الساعات الأولى من الصباح، والجو العام المليء بالحيوية. خيَّب كل هذا آمال ليفيا بدرجة كبيرة، فأنهت المكالمة بكآبة، إذ لم تُستجَب صلواتها؛ نال نادي يخنة لحم البقر فرصة جديدة للحياة، وسيستمر.

كنت أستعد للغوص في أعماق النوم مرة أخرى، عندما رنَّ الهاتف مرة أخرى، كان المتصل هو تياجو، وقد سمع للتوِّ الأخبار من جيزيلا: مات أبيل.

حضرنا جميعًا السهر عند الجثمان، باستثناء أندريه، ووقفت جيزيلا تبكي وسط مجموعة من النساء الغريبات، افترضنا أنهن من عائلتها. لم نكن نعلم أين عثر أبيل على جيزيلا، ولم نكن نعرف عنها شيئًا. لم تترك لدينا أي انطباع يُذكر قطُّ، وعاملتنا بازدراءٍ نوعًا ما، حتى إنها صدمتنا في إحدى المرات عندما جلبت معها في إحدى مآدب عشائنا صحنًا مغطًّى يحتوي على شريحة لحم مقلي وبطاطس مهروسة، قائلة إنها سئمت من الطعام المتكلف. ألقيت نظرة خاطفة حولي بحثًا عن والدي أبيل، لكنني لم أرهما. كان أبيل قد تجادل مع والده عندما ترك مكتب محاماة الرجل العجوز، ولم تغفر له والدته أبدًا هجره الكنيسة. كانت نورينيا هناك، متشبثة بالابن الذي أنجبته من أبيل، الذي كان أصغر بقليلٍ من جيزيلا.

جلس إخوة أبيل الستة في أجزاء متفرقة من الكنيسة، ولم يأتِ أحدٌ منهم إلينا. بدا صامويل أكثر كآبة من المعتاد، وكما هو الحال

دائمًا، فقد تولى العناية بكل شيء. عندما كان راموس يحتضر، حتى نحن، الذين اعتدنا تناقضات صامويل وقسوته، صدمنا من افتقاره إلى الحساسية. قال: "لن أذهب لزيارة شاذ جنسيًّا"، كي يوضح سبب عدم ذهابه لرؤية راموس في المستشفى، في اليوم الأخير من حياته. ومع ذلك، كان هو من رتَّب جنازة راموس، وقد جعل الحزن الظلال الداكنة تحت عينيه والخطوط الغائرة في وجهه أكثر وضوحًا. عندما بدأت في اختبار النظريات حول موت أعضاء المجموعة بأكملها، خطر لي أن صامويل قد تُرك للنهاية كي يتولَّى أمر الجنازات، ولتسجيل أثر كل خسارة على وجهه، مثل بردية عتيقة.

سألت:

- هل كان قلبه هو السبب؟

قال صامويل:

- أعتقد هذا، لا بد وأنه كان لديه مشكلة بالفعل، لكنه لم يخبرنا بذلك. تقول لوليتا هناك إنه بدأ يشعر بالتعب عند الفجر، ثم أصيب بتعب رهيب، لم يكن يريدها أن تتصل بطبيب، أراهن أنه مات فوقها، الوغد.

قال ساولو:

- لا يمكن أن يكون الطعام هو السبب؛ لقد أكلنا جميعًا نفس الشيء، ولم أشعر بأي شيء، هل أحسَّ أي منكم بشيء؟

لم يشعر أحدٌ بأي شيء، لكن من الصحيح أن أحدًا لم يأكل بنفس القدر مثل أبيل، ولم يضاجع أحدٌ جيزيلا بعد ذلك؛ لا بد أن قلبه كان هو السبب. ومع ذلك، ذهبت للبحث عن هاتف واتصلت بأندريه. لا، لم يشعر بأي شيء هو أيضًا. لم يكن يعلم أن أبيل مات، ولم يخبره أحد، كم هو أمر مؤسف، سيحاول أن يكون هناك لحضور الجنازة في

وقتٍ لاحقٍ من بعد ظهر ذلك اليوم، قلت إن الأمر ليس ضروريًّا، فالمجموعة ممثَّلة تمثيلًا جيدًا، قال إنه سيأتي على أي حال، ثم سأل:

- هل ما زالت مأدبة العشاء ستُعقد في الشهر المقبل؟

اتفقنا في الليلة السابقة على أن أندريه يجب أن يكون هو المضيف في الشهر التالي، وكان قد اقترح أن يتولى لوسيديو تحضير العشاء مرة أخرى. أم أن هذا كان اقتراح لوسيديو؟ أيًّا كان صاحب الفكرة، فقد استقبلتها المجموعة بحماسٍ، ولا سيما أبيل المسكين.

أجبت قائلًا:

- أوه، أجل.

طوال واحد وعشرين عامًا، لم نقم بإلغاء العشاء على الإطلاق بسبب الموت، ولا حتى لوفاة والدتي، ولا حتى لوفاة راموس. في مأدبة العشاء الأولى التي أُقيمت بعد وفاة راموس، كان مكانه على الطاولة معدًّا، وتلوتُ "خطابه عن الرغبة الجنسية" -أو ما تذكرته منه- الذي ألقاه خلال مأدبة عشاء الكمأ. ومنذ ذلك الحين، شرعنا نشرب الأنخاب مع الشمبانيا التي نتناولها دائمًا قبل كل عشاء: نشرب نخب الجوع، كما هو الحال دائمًا، ونخب راموس أيضًا. أجل، ستمضي مأدبة العشاء الثانية قدمًا، التي سيتولى لوسيديو إعدادها، وسيُضاف نخب أبيل المسكين إلى طقوس المجموعة التي تم إنعاشها حديثًا.

عدتُ للانضمام إلى الأعضاء الآخرين في السهر عند الجثمان، أخبرتهم أن أندريه بخيرٍ وبعد ذلك، من أجل التفوُّه بشيء ما فحسب، سألت عمَّ إذا كان أي شيء قد حدث، فأنا لا أجيد التزام الصمت. قال جواو إنه باستثناء أبيل الذي قفز من التابوت وأدَّى بضع خطوات من رقصة التانجو في أرجاء الكنيسة قبل الاستلقاء مرة أخرى، لا، لم يحدث شيء على الإطلاق. من خلف الفاصل الذي تجلس عنده أسرتها، أشارت جيزيلا نحونا، وسمعتها تقول:

- كان ذلك في منزل هذا الرجل السمين.

بقيت أنا وصامويل فقط حتى نهاية السهر عند الجثمان، إذ غادر الآخرون وعادوا عندما حان وقت الجنازة. في منتصف الوقت تقريبًا بعد الظهيرة، وصلت ليفيا لمعرفة ما إذا كنتُ بخيرٍ، وما إذا كنت في حاجة إلى أي شيء، ثم رحلت مرة أخرى من دون النظر إلى الرجل المتوفى، ولا إلى صامويل. بعد ذلك، رفرف قلبي فجأة، حيث ظهرت مارا، قبّلتني على الوجنتين وتجاهلت صامويل. آخر مرة رأيتها كانت عند وفاة راموس، أخذت تزداد جمالًا مع كل جنازة. تبعتها خارج الكنيسة وسألتني عن الرجل الذي يقف بجانبي، وعندها فقط أدركت أنها لم تتعرَّف حتى على صامويل.

قلتُ:

- أوه، لا أحد تعرفينه.

قال صامويل بعد ذلك:

- هل رأيت ذلك؟ لقد تظاهرت بأنها لم تلاحظني.

عندما حان وقت الجنازة، ظهر والد أبيل ووالدته ووقفا بانتباه بجانب التابوت، كان الكاهن على وشك التحدث، ووقفت جيزيلا وكعباها معًا وذراعاها ممدوتان، مثل راقصة الباليه، وهي تستند إلى النساء اللواتي افترضنا أنهن من عائلتها. وقفت نورينيا خلف ابنها ويداها على كتفيه. خمَّنتُ أن الكاهن كان صديقًا قديمًا للعائلة. قال إن الكنيسة خسرت أبيل ككاهن بها، ولكن في تلك اللحظة بالذات، لا بد وأن روحه النادمة بلا شكٍّ قد عادت إلى الكنيسة، أومأت والدة أبيل برأسها تأكيدًا، أبيل المسكين.

عندما مرَّت نورينيا من أمامنا، وذراعاها حول ابنها، لم تلقِ نحونا ولو نظرة واحدة، في حين رمقتنا جيزيلا بغضبٍ. خلَّف نادي يخنة

لحم البقر وراءه صفًّا طويلًا من النساء المستاءات؛ لقد أفسدنا عددًا من الزيجات، لكن هذه كانت المرة الأولى التي نقتل فيها زوجًا لإحداهن على مائدة العشاء.

لمدة أسبوعين، لم أسمع شيئًا من لوسيديو، كنت قد أعطيت رقمه لأندريه حتى يتمكَّنا من ترتيب مأدبة العشاء التالية، التي ستتألف من البابيلا. اتفقنا على ذلك ليلة مأدبة العشاء الأولى، لكنها ستكون بابيلا لم يرَ أحد مثيلًا لها في إسبانيا أو في العالم الغربي. وفقًا للوسيديو، جاءت وصفته من جزيرة في المحيط الهندي كانت مستعمرة من قبل الإسبان، حيث تطورت البابيلا بشكلٍ مختلفٍ إلى حدٍّ كبيرٍ، وانتهى بها الأمر على العكس تمامًا من الأصل، حيث يعتمد الاختلاف بدرجة كبيرة على نوع الثوم المستخدم ونوع التوابل، وهو عشب بنكهة الليمون يوجد فقط في الجزيرة. لحسن الحظ، كان لدى لوسيديو بعضٌ من تلك التوابل، بالإضافة إلى الكثير من الثوم العملاق الذي يحتاج إليه، الذي ينمو الآن في شرق إفريقيا فقط. عندما اتصل بي بعد أسبوعين، سألته مازحًا إذا كان أي من المكونات سامة، مثل الفوجو. لم يرد لوسيديو على سؤالي، لكنه قال بدلًا من ذلك:

- أسفت جدًّا لسماع نبأ موت أبيل.
- كنت أمزح فحسب.
- كان السبب هو قلبه، أليس كذلك؟ هذا ما قاله لي أندريه.
- على ما يبدو، لكنك تعرف طبيعة الأمر، زوجة شابة، و...
- أردت أن أسألك معروفًا.

لا يتمتع لوسيديو بأي حسٍّ للدعابة، إن ابتسامته دائمة، لكنَّ شفتيه لا تنفرجان أبدًا. أي معروف؟ كان يفضِّل لو أمكن إقامة مأدبة العشاء الثانية في شقتي، إذ إنه من الواضح أن الأمور ستكون صعبة

في منـزل أندريـه؛ سـوف تتدخـل زوجتـه، وقـد أوضحـت لزوجهـا بالفعـل أنهـا لـن تسـلم مطبخهـا إلى لوسـيديو، وطالبـت بالسـماح لهـا بـالإشراف عـلى أنشـطته، مـع حـق الاعـتراض؛ لـن يتمكَّـن لوسـيديو مـن العمـل في مثـل هـذه الظـروف، خاصـة وأن البابيـلا -بالإضافـة إلى كونهـا خـارج تخصصـه المعتـاد، وهـو المطبـخ الفرنـسي الكلاسـيكي- تتطلَّـب إجـراءات غـير تقليديـة سـيكون مطبخـي مجهـزًا لهـا بشـكلٍ أفضـل. قلـت إنـه إذا لم يمانـع أندريـه، فـلا مانـع لـديَّ. تـم الاتفـاق عـلى أنهـا سـتظل مأدبـة عشـاء أندريـه، وأنـه سـيدفع ثمـن كل شيء ويحـضر النبيـذ، لكـن المأدبـة سـتقام في حجـراتي الخاليـة.

جـاء الجميـع، وصـل أندريـه في وقـت متأخـر مـن بعـد الظهـر، حامـلًا معـه النبيـذ. سـمح لـه لوسـيديو بالدخـول إلى المطبـخ، ولكـن مـدة خمـس دقائـق فقـط، كي يتفحـص المكونـات. ثـم جلسـنا في غرفـة المكتـب بينـما تـولى لوسـيديو الطهـي، وسـألني أندريـه كل أنـواع الأسـئلة بخصـوص أبيل، هـل عرفتـه منـذ فـترة طويلـة؟ قلـت منـذ الطفولـة. كان جميـع أعضـاء المجموعـة تقريبًـا يعـرف بعضهـم بعضًـا منـذ الطفولـة، كان ماركـوس وساولو جـيراني، وكانـا يعيشـان في نفـس الشـارع مثـلي، كانـا لا يفترقـان، واعتدنـا أن نطلـق عليهـما لقـب التوأمـين الملتصقـين. كـما كان تياجـو، وبيـدرو، وأبيـل، وجـواو، وباولـو أيضًـا يعيشـون في نفـس المنطقـة مـن المدينـة. خـلال فـترة المراهقـة، تفرقـت المجموعـة إلى حـدٍّ مـا، انخـرط أبيـل بعمـقٍ في الكنيسـة، وكنَّـا نعلـم أنـه لا يريـد أن تكـون لـه أي علاقـة بالسـلوك الجامـح، واشـتبهنا في أنـه لا يـزال محتفظًـا بعذريتـه، فعـلى الرغـم مـن إصرارنـا، لم يكـن يريـد حتـى مقابلـة ميلـين، التـي ضاجعناهـا جميعًـا. أصبـح باولـو زعيـمًا طلابيًّـا، ونـأى بنفسـه عـن بقيـة المجموعـة التـي احتقـرت السياسـة. كـما لم يكـن بيـدرو موجـودًا بدرجـة كبـيرة، إذ قـاد حيـاة منعزلـة، لم يذهـب إلى المدرسـة، ولكـن كان لديـه مدرسـون خاصـون، وتـم إعـداده لتـولي إدارة شركـة العائلـة، وبخـلاف ذلـك، كانـت

والدته، دونا نينا، مصابة بجنون الشك فيما يتعلق بالعدوى. لم تستطع تحمُّل فكرة أن صغيرها بيدرو سيتلامس مع شوائب العالم، ومن بينها نحن، ولا سيما أنا، لم يكن من فراغ لقبي الذي حملته منذ الطفولة: "الفاسق المتكلم". عندما رأيت مارا مع بيدرو للمرة الأولى، خمَّنت أن دونا نينا اختارتها لتكون زوجة لابنها. لم يكن هناك من هو أكثر بياضًا أو أكثر نظافة منها، على ما يبدو. أما صامويل، فقد تسلَّل إلى المجموعة، على الرغم من عدم معرفة أحد من أين أتى، لم يكن يعيش في نفس المنطقة من المدينة، ولم نكتشف أي شيء عن عائلته قطُّ. دخل حياتنا بوصفه "صامويل ذا الأربع بيضات"، لأن ساولو ضبطه متلبسًا في حانة ألبيري، المقر غير الرسمي للمجموعة، وهو يأكل أربع بيضات مقلية دفعة واحدة. ومنذ ذلك الحين، لم يتوقف إعجابنا بالصبي النحيل صاحب الشهية الشرهة عن التزايد. لم يكن صامويل يدرس قطُّ، لكنه كان يعرف كل شيء. ولم يعمل على الإطلاق، لكنه لم يكن يعاني أبدًا نقصًا في المال. اعتاد لعب النرد مقابل المال مع مجموعة من الأولاد الأكبر سنًّا، في الغرفة الخلفية لحانة ألبيري، وكان يخسر أكثر مما يربح، كما كان يتناول الشراب بقدر ما يأكل، وكان يتعاطى المخدرات. وبمجرد أن ضاجع ميلين، لم تعد ترغب في أن تكون لها علاقة ببقيتنا، وتبعته في كل مكان، على الرغم من الضرب الذي أذاقه لها معبودنا. وكان صامويل هو الذي قدمنا لراموس، بعد سنوات عندما أقنع صامويل المجموعة أنه من المهم، بل ومن المحتوم أن نبادل العشاء الأسبوعي في مطاعم جيدة بيخنة لحم البقر في حانة ألبيري. حينها انضم إلينا أبيل وبيدرو وباولو مرة أخرى، لأنهم لم يكونوا جزءًا من المجموعة الأصغر التي شكَّلت مجموعة العشاء: فتى الشوكولاتة تياجو، والتوأمان الملتصقان، وأنا، وجواو، وصامويل. كان الأمر كما لو أن صامويل، بعد أن وضع حجر الأساس لنا، سلَّمنا إلى راموس كي يكمل تعليمنا الحسي ولكي

نصبح أسطورة. كنا لا نزال نعتقد حينها أننا سنصبح أسطورة، وأن المدينة أصغر من أن تتسع لشهواتنا. لقد كنا أوغادًا، نعم، لكننا أوغاد عظماء، وأوغاد أجلاء. لم نكن نعرف شيئًا تقريبًا عن راموس أيضًا، كان أكبر منَّا سنًّا، وله دخل خاص، وكما قال ذات يوم، فقد كان يعرف الكثير عن شكسبير وعن الصلصات، كانت علاقته بصامويل لغزًا لم نحاول التفكير فيه.

دارت طقوسنا للانتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة النضج حول طاولة في مطعم، عندما أوضح لنا راموس لماذا لا تعد شريحة اللحم التي تعرضت للتسوية بدرجة زائدة طعامًا شهيًّا، بل تعتبر بدلًا من ذلك أحد الأغراض النافعة، مثل نعل الحذاء. أحدث هذا ثورة في حياة أبيل، صديقنا الورع المتخصص في شي اللحوم. وفقًا لصامويل، بدأ أبيل يفقد إيمانه حينئذٍ. كان اكتشاف أن النيء أفضل من المطهي بدرجة زائدة بمنزلة التعليم الديني المعكوس بالنسبة إلى أبيل، كان هناك عدم توافق جوهري بين اللحوم النيئة والميتافيزيقيا، واختار أبيل اللحم النازف.

لا أعرف مدى اهتمام أندريه بتلخيصي للحقائق على نحوٍ مشوبٍ بالمودة، أم أنه كان يحاول فقط إظهار مدى أسفه لموت أبيل. بمجرد أن اكتشف في نهاية المطاف أننا لسنا "le crème de le crème"، لم يُظهر أي اهتمام بقصصنا، وأظهر اشمئزازًا يكاد يكون جسديًّا، بترتيبٍ تنازلي من الرعب، حيال سلوك باولو اليساري المتكلِّف، وتحلل صامويل ببطء كالجثة، وكرشي. أشعر بالندم الآن لأنني لم أتركه يتحدث أكثر في تلك الليلة، بينما كنَّا ننتظر الآخرين، وبينما كان لوسيديو في المطبخ، يُعِد آخر طبق بابيلا في حياة أندريه.

البابيلا التي لا تُنسى، سبقها نخب الشمبانيا لراموس وأبيل، والأسقلوب المقدم مع موس السلمون الشهي. كنا جميعًا في حالة

مـن النشـوة، عـلى الرغـم مـن وفـاة أبيـل. لقـد أقنعنـا ذلـك العشـاء الأول الـذي أعـده لوسـيديو أن شـهيتنا يمكنهـا إنقـاذ نـادي يخنـة لحـم البقـر، حتـى إذا لم يعـد بعضنـا يحـب بعضًـا كـما كنّـا في السـابق، وحتـى إذا كنّـا قـد أضعنـا حيواتنـا. لم يذكـر أحـد أبيـل في أثنـاء العشـاء، عـاد أبيـل ليصـير واحـدًا مـن قديـسي عائلتـه مـرة أخـرى، وكان الأمـر مـتروكًا لنـا للحفـاظ عـلى مـا بقـي عـلى قيـد الحيـاة بيننـا، ومـا تـم إنقـاذه من حطـام السـفينة: انسـجامنا الحيـواني، وجوعنـا الجماعـي الـذي يعـود تاريخـه إلى تلـك الأيـام التـي اعتدنـا فيهـا النخـر كالخنازيـر بينـما نحـن نـزدرد يخنـة لحـم بقـر ألبـيري. صـار الـشيء الوحيـد المشـترك بيننـا الآن هـو جوعنـا. لم أتوقـف عـن الـكلام إلا بالـكاد، حتـى عندمـا كان فمـي ممتلئًـا. ظلَّ أندريـه يكـرر قائـلًا كـم يشـعر بالأسـف لعـدم وجـود زوجتـه، ففـي النهايـة، كان يجـري في عروقهـا دمـاء إسـبانية، وكان لا بـد وأن يكـون لهـا رأي في هـذه البايـيلا غـير الاعتياديـة بدرجـة كبـيرة. ثـم قـال جـواو إن منْـع النسـاء مـن حضـور مـآدب العشـاء قـرارٌ عظيـم، وقـرارٌ حكيـمٌ. كانـت النسـاء هـن المسـؤولات عـن تدهورنـا، كـما أن النسـاء هـن مـن تسـبَّبن في طردنـا مـن الجنـة، مـن دونهـن، ستسـتعيد طقوسـنا نقـاوة المراهقـة، وعدنـا مـرة أخـرى خنازيـر قانعـين، كـما كنّـا عندمـا اعتدنـا تنـاول الطعـام في حانـة ألبـيري. عندمـا أحـضر لوسـيديو الطبـق الثـاني الـذي يحـوي البايـيلا مـع رؤوس ضخمـة مـن الثـوم مرتبـة حـول الحافـة، اسـتقبلته صيحـات التقديـر، كان هـو الشـخص المسـؤول عـن إعـادة بعثنـا. حـاول أندريـه الاحتجـاج، لكـن مـن دون قناعـة كبـيرة؛ يجـب أن تكـون زوجتـه بيتينيـا موجـودة هنـا، تلـك التي تحـب البايـيلا، والتـي درسـت البايـيلا. اندفنـت احتجاجاتـه تحـت صـوت شـخيرنا العنيـف. تذكـرت "الخطـاب عـن الرغبـة الجنسـية" الـذي ألقـاه رامـوس في أثنـاء تنـاول الكونيـاك، بعـد مأدبـة عشـاء الكـمأ التـي لا تُنـسى. قـال رامـوس إننـا نديـن بالفضـل في الكـمأ والحضـارة إلى الرغبـة الجنسـية للإنـاث، ورفـع كأسـه واقـترح نخبًـا للإنـاث وغددهـن. كانـت رائحـة الكـمأ

تشبه رائحة الفيرومونات عند ذكور الخنازير، وكانت إناث الخنازير المستعدات للتزاوج والساعيات وراء الحب تبحث عن الكمأ وتستخرجنه على نحوٍ محموم. قال راموس: "بدلًا من زوج، وجدن درنة نباتية من نوعٍ ما، كما تفعل العديد من الشابات اليوم". كان الكمأ الرائع الذي تناولناه ناتجًا عن الإحباط العاطفي لإناث الخنازير المجهولة. وفقًا لراموس، فإن كل متعة ناتجة عن تذوق الطعام هي شكل محرَّف من أشكال الرغبة الجنسية، إذ إننا نقاطع المسار العضوي لنباتٍ أو حيوانٍ ما كي نلتهمه، ونستنفد شهوتنا ورغبتنا الجنسية المنحرفة من خلال متعة الأكل. كنَّا مجتمعين هنا بفضل تدمير الغابات في العصر البليوسيني، عندما اضطرَّ أسلافنا إلى العيش في الأراضي العشبية المفتوحة، فشكَّلوا مجموعات بهدف الحماية، وبدؤوا في التخلي عن النشاط الجنسي الطبيعي للحيوانات مقابل النشاط الجنسي البشري وكل ما يصاحبه من رعب. بدأ التاريخ البشري عندما صارت أنثى الإنسان متاحة جنسيًّا على أساسٍ دائمٍ، بدلًا من دخول موسم التزاوج مثل الحيوانات الأخرى، وهو التغيير الذي جلب معه الدورة الشهرية والتقويم القمري، والهروب الطويل من الحضارة التي تشبه الفرج المفتوح. إن جميع المجتمعات الذكورية مثل مجتمعنا -وهنا، بيده التي تمسك السيجار، أشار راموس بإيماءة دائرية شملت المائدة، وبقايا الطعام ورفاقه التسعة الشِّباع- كانت عبارة عن غابات صغيرة أعيد تشكيلها، وملاجئ اصطناعية في وسط الأراضي العشبية، الفردوس الذي استعاده الرجل، قبل الانحدار التاريخي وسقوط دورة الشبق. عندما ذكرت نظرية راموس لليفيا، قالت إن راموس في الأساس يقدِّر إناث الخنازير أكثر مما يقدِّر النساء، وازدادت سخطًا فحسب عندما أخبرتها كم دفعنا مقابل الكمأ.

أعلن لوسيديو أنه لا تزال هناك بعض البابيلا المتبقية، تكفي شخصًا واحدًا، من يرغب فيها؟ تردَّد أندريه، ثم رفع يده.

- هل يمكنني أخذها إلى المنزل من أجل بيتينيا؟

زأرنا جميعًا بصوتٍ موحدٍ: "لا!"، زئيراً من أعماق الغابة.

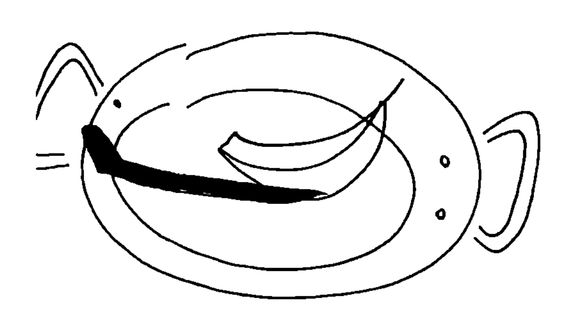
سلَّم أندريه أمره، وتناول ما تبقى من الباييلا بمفرده، ترك رؤوس الثوم حتى النهاية، وهرس آخر اثنين بظهر شوكته، معتصرًا منهما لبَّهما الناعم، الذي تناوله بقشوره. قال صامويل وهو جالس بجانبه، متظاهرًا بفحص كل شوكة مليئة بالطعام باهتمامٍ علمي وثيقٍ:

- إن الآلهة لعادلة، ومن آثامنا المحببة إلينا...

أكمل لوسيديو الواقف بجوار الطاولة الاقتباس، كما لو كانا قد تدرَّبا عليه:

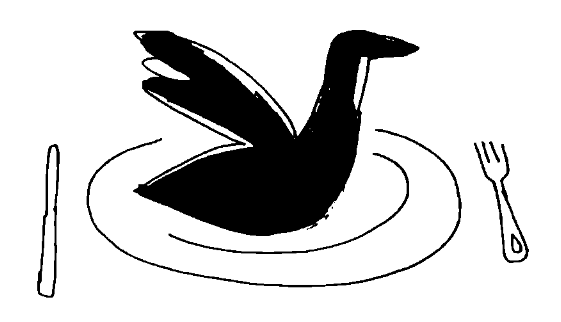
- تصنع أدوات لعقابنا...

أعرف الآن، على الرغم من أنني لم أكن أعرف ذلك حينها، أن هذا اقتباس آخر من الملك لير، لكن صامويل ولوسيديو لم يتبادلا النظر إلى بعضهما حتى وهما يتفوَّهان بهذه الكلمات، بدا الأمر كما لو أنهما تدرَّبا عليه.



5

التوأمتان الملتصقتان السحاقيتان



فاحت رائحة الثوم في أثناء السهر عند الجثمان، لا أدري ما إذا كان مصدرها هو الرجل المتوفى أم لا. وقفنا نحن الثمانية في منتصف الكنيسة، على شكل مستطيل منفصل غير منتظم، مثل كتيبة رومانية مستعدة للهجوم من كل جانبٍ. ربما كانت الرائحة تفوح منَّا نحن. لم نكن نعرف أيًّا من الموجودين، باستثناء الأرملة التي بدت مريعة وهي جالسة هناك بجانب التابوت، ووجهها خالٍ من مساحيق التجميل التي كشف غيابها عن الندوب التي خلَّفتها عمليات التجميل المختلفة. لم ترفع وجهها لتلقِّي تعازينا. اضطر كلُّ واحدٍ منَّا

إلى رفـع يدهـا اليمنـى مـن حجرهـا واعتصارهـا، ثـم وضعهـا مـرة أخـرى بعنايـة، كان أندريـه قـد مـات في أثنـاء الليـل بفعـل أزمـة قلبيـة.

وقـف تياجـو بجانبـي، وهمـس في أذني، لكـن الجميـع في مجموعتنـا سـمعوه.

- في البدايـة أبيـل، ثـم أندريـه... إذا كنَّـا نمـوت حسـب الترتيـب الأبجـدي إذن...

التالي سيكون هو دانيال، نظر إليَّ الجميع.

- مجرد صدفة.

- ربما، ولكن لو كنت مكانك، سأفوت العشاء التالي.

اقترح صامويل قائلًا:

- أو خذ معك ترياقًا للسم.

كان صامويـل هـو مـن سـيقيم مأدبـة عشـاء الشـهر التـالي، واتفقنـا عـلى أن لوسـيديو سـيكون الطاهـي مـرة أخـرى، وأن تُقـام المأدبة في شـقتي ثانيـة، حيـث صـار لوسـيديو يشـعر بالارتيـاح الآن في مطبخـي.

- ماذا تقصد؟ لم يُسمَّم أحد في شقتي.

- حسنًا، لست متأكدًا من ذلك.

- مات أبيل وهو يضاجع جيزيلا، وتُوفي أندريه بنوبة قلبية.

قال ساولو:

- مات كلاهما بعد عشاء النادي.

أضاف جواو قائلًا في أذني الأخرى:

- حيث كان الطبق الرئيسي هو الطبق المفضَّل لديهما.

- هذه مجرد صدفة، إذا كان هناك شيء ما في الطعام، فلماذا لم يتأثَّر أي شخص آخر؟

- لا أدري.

حضر الجنازة عددٌ كبيرٌ من الناس، أُلقيت ثلاث خطب بجوار القبر، ففي النهاية، كان أندريه رائدًا في مجال صناعة الأدوية. أرسل المحافظ من يمثِّله، فاقترب منه ساولو خلال إحدى الخطب وقدم نفسه، وعرض عليه بطاقته. مع رحيل أندريه، قد يفقد منصبه كمسؤول علاقات عامة للشركة وكان في حاجة إلى تأمين مستقبله. لاحظت أن ممثِّل المحافظ قبل البطاقة، لكنه سرعان ما ابتعد، ولم يبذل أي جهد لإخفاء شعوره بالحرج من هذا السلوك. كنَّا محلً استنكار الجميع، أو مجرد محط نظراتهم الفضولية، كنا نمثِّل جزءًا لا يمكن فهمه من حياة أندريه. قبل سنوات، عندما كانت أخبار اجتماعات نادي يخنة لحم البقر تصل إلى صفحات المجتمع، كان الكثير من الناس الموجودين سيحلمون بالانتماء إلى مجموعتنا في يوم من الأيام. ومع ذلك، فلقد صرنا الآن مجرد مثار للفضول، ومصدر للإزعاج. أدركت حينها كيف أصبحنا جميعًا فائقي الغرابة. ليس أنا فقط بقميصي الفضفاض وصندلي، ولا صامويل الكئيب كالجثة، أو تياجو الذي لم يكن يتمكَّن على الإطلاق من حشر جسده المدمن للشوكولاتة داخل ملابس تقليدية. لكن بيدرو، رغم كونه رجل أعمال مثل معظم الرجال الآخرين الحاضرين هناك، فإنه بدا في غير محله بنفس القدر مثلنا. بدا بعطره وبمظهره المعتنى به بدرجة فائقة كما لو أنه عدواني تقريبًا، في محاكاة ساخرة للأناقة مبالغ فيها. ولطالما كان ساولو من أتباع الموضة، لكن في نقطة ما خلال الطريق، فَقَدَ كل حسٍّ بحسن بالتقدير، وبدا كل شيء فيه كأنه يتعارض مع الرصانة المحيطة. ظهرنا كمجموعة من الغزاة من فصيلة أخرى، لم يدركوا بعد أن تمويههم غير ناجحٍ، وأن ذيولهم ظاهرة. أعتقد أن هذا تقريبًا

هـو مـا اعتـادت زوجـة أندريـه عـلى قولـه لـه، بمجـرد أن اكتشـفت أننـا لسـنا مصقولـين كـما كانـت تعتقـد. إنهـم ليسـوا ذلـك النـوع مـن النـاس الـذي يلائمنـا، يـا أندريـه، دعـك مـن نـادي المجانـين هـذا. أجـل، خـلال الواحـد والعشريـن عامًـا الماضيـة، صرنـا جميعًـا فائقـي الغرابـة.

***

كان سـاولو وماركـوس أبنـاء خالـة، لقـد نشـآ معًـا، لكـن لم يكـن مـن الممكـن أن يكونـا أكـثر اختلافًـا. كان ماركـوس هـو الفنـان الحسَّـاس الانطـوائي، وسـاولو عـلى العكـس مـن ذلـك تمامًـا، إذ كان يتمتـع بـروح رجـل العلاقـات العامـة منـذ طفولتـه. عندمـا أنشـأنا وكالتنـا، د.س.م.، كانـت الفكـرة هـي أن يتـولَّى ماركـوس العمـل الفنـي، بينـما أكتـب أنـا النصـوص، ويجلـب سـاولو العمـلاء، ولكـن لم يكـن لـدى أي منَّـا الموهبـة التـي لا غِنـى عنهـا والتـي تضمـن نجـاح العمـل: لم يكـن أي منَّـا إداريًّـا. وعـلى الرغـم مـن الاختلافـات بينهـما، كان سـاولو وماركـوس لا يفترقـان. كان اللقـب الـذي نطلقـه عليهـما هـو التوأمـان الملتصقـان، واختصرنـاه لاحقًّـا ليصـير التـوأم 1 والتـوأم 2. كانـا أعـزَّ صديقـين لي، لكـن شـعور المـرارة المتزايـد خـلال السـنوات الماضيـة أدَّى إلى تـآكل صداقتنـا السـابقة. وعـلى الرغـم مـن أن سـاولو أظهـر لي مـرارًا وتكـرارًا أنـه لا يمكـن الوثـوق بـه، فإننـي أفتقدهـما رغـم ذلـك. مـن بـين جميـع الأشـخاص الذيـن ماتـوا، هـما أكـثر مـن افتقدهـما. اللعنـة، لقـد سـكبت كأسًـا مـن نبيـذ قـاورش عـلى لوحـة المفاتيـح. أكتـب هـذا في منتصـف الليـل، كل مـا يطـرأ عـلى بـالي، لهـذا تُركـت حتـى النهايـة، حتـى أتمكَّـن مـن تدويـن كل شيء، أعـرف الآن لمـاذا أفلـتُّ، فأنـا المـدوِّن المقـدس لهـذه الحكايـة الغريبـة.

اسـتمددت الإلهـام مـن سـاولو وماركـوس، وبـدأت في ابتـكار قصـص عـن توأمـين ملتصقـين، شـقيقين لديهـما طموحـات مختلفـة تمامًـا، يرغـب أحدهـما في تحقيـق النجـاح في الحيـاة كبطـل وثـب عـالٍ أو راقـصٍ، بينـما

أراد الآخر متابعة العمل في سلك الرهبنة. تطورت القصص بعد ذلك لتصير مغامرات شقيقتين توأمتين ملتصقتين سحاقيتين، وهي القصص التي عملنا عليها أنا وماركوس وساولو خلال فترات ما بعد الظهيرة الطويلة والخاملة في الوكالة. كنَّا نعتمد على دعم الأقارب وأصدقاء العائلة للمساعدة في انطلاق عمل الوكالة. ما لم نكن نعرفه هو أن الجميع اعتبرونا مجرد مجموعة من الأشخاص الذين يفتقرون إلى المسؤولية ولا يصلحون لأي شيء، وليس لديهم أي خبرة على الإطلاق في عالم الإعلان، وكان الدعم الوحيد الذي أبدوا استعدادهم لتقديمه إلينا هو بضع كلمات مشجعة تفوَّهوا بها مراعاة لآبائنا. بينما كنَّا ننتظر ظهور العملاء، أمضى ماركوس وقته في رسم لوحة جدارية على حائط مكتبه، وساولو في غرفته، والباب مغلق، ليجري مقابلات مع المرشحات لمنصب موظفة الاستقبال، بينما جلستُ في مكتبي أكتب قصصًا غريبة أو أتحدث على الهاتف. لقد تحدثت أكثر مما كتبت، لا أستطيع التزام الصمت أبدًا فترة طويلة. وبعد ذلك، في نهاية فترة ما بعد الظهيرة، كان الأعضاء الآخرون في المجموعة يتوافدون. أنفقنا جزءًا كبيرًا من رأس مالنا الأساسي على مخزون من الويسكي لنقدمه لعملائنا، لكن المخزون نفد بعد شهر فحسب من الاجتماعات بعد ساعات العمل مع أعضاء النادي في غرفة ساولو، وفي الكثير من الأحيان كانت مرشحة أو مرشحتان لمنصب موظفة الاستقبال تبديان الموافقة على البقاء من أجل مقابلة من أسماهم ساولو مساهمي الوكالة، أو "الرجال الذين يملكون المال". دومًا ما كان صامويل يحقق أكبر قدرٍ من النجاح مع الفتيات. أي شخص حكم على الوكالة بعدد المرات التي بقيت فيها الأضواء مشتعلة حتى وقت متأخر من الليل، كان سيفترض أننا كنَّا نعمل بجهدٍ وأن نجاحنا مضمون. لكن خلال فترة حياتها القصيرة البالغة ثمانية أشهر، نفَّذت الوكالة مهمة واحدة فقط، وهي حملة لصالح شركة يملكها والد بيدرو. اعتقدنا نحن الثلاثة

أنها رائعة، لكنَّ الرجل العجوز دفع ثمنها ولم يستخدمها قطُّ، ومع هذا، فقد أتاح لنا ذلك دفع إيجارنا المتأخر وفاتورة هاتفي الضخمة. أغلقنا الوكالة ونحن نشعر بأننا ضحايا سوء الفهم وسوء التقدير، في اليوم الذي تعطَّلت فيه ثلاجة ساولو الصغيرة عن العمل، خلصنا إلى أنه لا يمكننا الاستمرار بكل بساطة من دون وجود ثلجٍ.

بالنسبة إلى ليفيا، تعتبر قصص التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين رمزًا لحياتي وموهبتي المهدرة. ساهم ساولو وماركوس، وأعضاء المجموعة الآخرون عن غير قصدٍ بحوادث وتفاصيل في ملحمة التوأمتين الملتصقتين، لكن معظم القصص ملكي أنا. كانت الشقيقتان التعيستان زينايد وزولميرا غير قادرتين على إشباع الإحساس بالانجذاب الجنسي الشديد الذي تشعران به بعضهما حيال بعض، فحاولتا تعويض إحباطهما من خلال إقامة علاقات مع نساء أخريات، علاقات دراميةصعبة دومًا تدمرها الغيرة في نهاية المطاف. ونظرًا إلى أنه لم يكن في وسع أي منهما الانفراد بعشيقتها أبدًا، كان على كل منهما تحمُّل انتقادات وشكاوى الأخرى على الدوام، وتحمُّل الضحكات المكتومة للأخرى كلما قدمت اعترافًا بالحب مبالغًا فيه بعض الشيء، أو تحمل المقاطعة في أثناء ممارسة الحب بسبب أسئلة مشوبة بنفاد الصبر، مثل: "هل انتهيتما بعد؟". لكنَّ التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين لم تكتفيا بخوض المغامرات الجنسية فحسب. في بعض الأحيان، كان أحد أعضاء المجموعة يتصل ليطرح عليَّ فكرة: " زينايد وزولميرا في مواجهة 007"، أو "اختيار زينايد وزولميرا للمنتخب الوطني لكرة القدم"، فكنت أعمل على تطوير الفكرة بعد ذلك. ذات مرة دخلت في جدال مع باولو، الذي اتهمني أنا وزينايد وزولميرا باللامبالاة السياسية والاجتماعية، في حين تعيش البلاد واحدة من أكثر الفترات سوادًا في تاريخها، في ظل نظام ديكتاتوري، مع صحافة خاضعة للرقابة، وتعرض الناس للسجن والتعذيب، وكل تلك الأشياء الأخرى التي لا يكترث بها

أحـد في مجموعتنـا سـوى باولـو. عـلى سـبيل الجـواب، اختلقـت حكايـة " زينايـد وزولمـيرا بعـد أن خـاب أملهـما في العمليـة السياسـية، فذهبتـا للانضـمام إلى حـرب العصابـات". حقَّقـت القصـة نجاحًـا كبيراً مـع مجموعة السـتة في الوكالـة، ومنحهـا باولـو بنفسـه نهايتهـا المأسـاوية: في حماسـتها لخطـط الحكومـة لبنـاء طريـق الأمـازون السريـع، تتخـلى زينايـد عـن الكفـاح المسـلح وتستسـلم للقـوات الحكوميـة، متجاهلـة الإشـارة إلى أن زولمـيرا لا تتفـق معهـا، وتخفـي تحـت تنورتهـا قنبلـة تنفجـر بينـما ترحـب بهـما السـلطات في برازيليـا. أدى الانفجـار إلى مقتـل الرئيـس وجميـع الـوزراء العسـكريين، وبالتـالي تغيير اتجـاه التاريـخ البرازيـلي، والأهـم مـن ذلـك، فصـل الشـقيقتين التوأمتـين، اللتـين يمكنهـما أخـيراً أن تحبـا بعضهـما بعضًـا كـما أرادتـا دائمًـا، وسـط أنقـاض قـصر بلاناوتـو.

***

واصلـتُ تأليـف القصـص عـن التوأمتـين الملتصقتـين السـحاقيتين. حتـى اليـوم، هـا أنـا مختبـئ في جـذع شـجرتي، أكتـب عنهـما، لكـن القصـص تـزداد كآبـة في نبرتهـا. في قصـصي، لا تـزال التوأمتـان ملتصقتـين، لكـن مـع مـرور الزمـن وتقدُّمهـما في السـن، باتـت حالتهـما رمزيـة عـلى نحـوٍ أسـتطيع أنـا بالـكاد أن أفهمـه. قصـة رمزيـة عـن الازدواجيـة الرهيبـة، عـن رعبنـا مـن ذلـك الآخـر الـذي لا مفـرَّ منـه، وهـو جسـدنا، وهـذا الفائـض مـن اللحـم الـذي ليـس نحـن، ولكننـا نشـاركه في سـيرتنا الذاتيـة، ويأخذنـا معـه في النهايـة عندمـا يمـوت، وعـن ذلـك... يمكننـي سـماع ليفيـا وهـي تقـول: "أوه، دانيـال، توقـف عـن ذلـك!". كانـت تعتقـد أن التوأمتـين الملتصقتـين السـحاقيتين مقززتـان بمـا يكفـي، عندمـا كانتـا مجرد شـخصيتين كوميديتـين مسـتهترتين، ولا تريـدني أن أخبرهـا بمـا فعلتـاه قبـل أن نلتقـي. تقـول ليفيـا إنهـما مظهـرٌ مـن مظاهـر كراهيـة المجموعـة المرضيـة للنسـاء،

وهو الثقب الأسود الذي تريد إنقاذي منه، لقد أصبحت شخصًا فائق الغرابة حقًّا.

كان عضو المجموعة الذي عجز عن فهم التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين هو جواو، لم يستطع رؤية أيِ شيء مضحك فيهما. كان يحب النكات الحقيقية، وليس ما أطلق عليه مسمى دعابات "أوه، هاها"، التي تدفع الناس إلى الابتسام وقول "أوه، هاها"، ليظهروا أنهم فهموا فحسب، بدلًا من الضحك من أعماقهم. جواو، صديقنا المحتال الذكي، الذي تمكَّن من النجاة طوال سنوات وسط العالم المشوش شبه القانوني للاستشارات المالية، ولم يفقد ولو مرة واحدة حسَّه بالدعابة، على الرغم من رغبة أكثر من عميل مفلس في قتله. كنت أفكر في ضحكه وتفاؤله الدائم في أي موقف، عندما سألت لوسيديو عن قائمة الطعام لمأدبة عشاء صامويل، هل من المحتمل أن يكون فخذ الضأن، طبقي المفضل؟ كانت هذه طريقة أخرى للسؤال عمَّ إذا كان الشخص المختار للموت هو أنا، بافتراض أن ترتيب الموت أبجدي، أجاب لوسيديو: لا، بل فطر سوتيه بروفنسال، هذا إذا لم نكن قد اكتفينا من الثوم بعد بايلا أندريه المسكين، يلي ذلك البط بالبرتقال.

كان البط بالبرتقال هو طبق جواو المفضل.

اتصلت بساولو.

- إنه بط بالبرتقال.

- ما هو؟

- هذا هو ما سوف يعده لوسيديو لمأدبة العشاء التالية.

- وماذا في ذلك؟

- إنه طبق جواو المفضل.

ساد الصمت، ثم قال:

- فلتتصل به.

اتصلت بجواو.

- بخصوص مأدبة العشاء التي يعدها لوسيديو لصامويل.

- أجل؟

- ستكون بطًّا بالبرتقال.

ساد الصمت، ثم قال:

- أشكرك.

كان جــواو أول مــن وصــل إلى مأدبــة عشــاء صامويــل، رأى نظــرة الدهشــة عــلى وجهــي، فقــال:

- بـط بالبرتقـال مـن إعـداد لوسـيديو، لم تكـن تعتقـد أننـي سـأفوت هـذا، أليـس كذلـك؟

وصـل ماركـوس وسـاولو بعـد ذلـك بوقـتٍ قصـيرٍ، وفوجئـا أيَضًـا لرؤيـة جـواو، نظـر إليَّ سـاولو، فرفعـت يـدي، وأخليـت نفسـي مـن المسـؤولية.

- لقد حذَّرته.

سأله ساولو:

- هل تريد أن تموت يا جواو؟

قال جواو:

- لقـد نسـيت أن هنـاك فرضيتـين، الأولى هــي أن الوفيـات مرتبـة حسـب الترتيـب الأبجـدي، وفي هـذه الحالـة جـاء دور دانيـال، أمـا الثانيـة، فهـي أن الشـخص الـذي سـيموت...

اضطر جواو إلى التوقُّف عن الحديث لأن لوسيديو دخل الغرفة ليتفحص شيئًا ما على المائدة التي كانت معدَّة بالفعل. عندما عاد لوسيديو إلى المطبخ، تابع جواو قائلًا:

- أما الفرضية الثانية، فهي أن الشخص الذي سيموت هو من يكون طبقه المفضل هو الطبق الرئيسي، وهناك فرضية ثالثة أيضًا، بالطبع، وهي أننا جميعًا مجانين تمامًا، ولا علاقة للوفيات بمآدب العشاء.

قال ماركوس:

- حسنًا، سنكتشف الليلة.

كان صامويل دائمًا يقدم الشمبانيا في مآدب عشائه، قبلها وخلالها. بدأنا في تناول الشمبانيا مع مقبلات لوسيديو الرائعة. شربنا نخب راموس وأبيل، وبعد شيء من التردد، أندريه أيضًا، ثم رفع جواو كأسه نحوي، وقال:

- فليمت أسوأ رجل فينا.

قال ماركوس:

- صه! قد يسمعنا لوسيديو في المطبخ.

واجه طاهينا مشكلة مع فرني، كان قد قدَّر أنه سيحتاج إلى ثلاث بطات لمجموعة الثمانية، لكنه لم يكن في إمكانه سوى إدخال بطتين في الفرن في المرة الواحدة؛ سيطهو البطة الثالثة بينما نحن نلتهم أول بطتين. كان البط مثاليًّا، وتأوَّه جواو مع كل قضمة. لم يسبق وأن تذوق صلصة برتقال تضاهي هذه من قبل، وعليَّ الاعتراف بأن احتمالية الموت زادت بالتأكيد من استمتاعي بالطعام. كان ما قاله لوسيديو عن الفوجو صحيحًا، إذ كان لخطر الموت تأثيرٌ فعلي في براعم التذوق. اكتسبت النكهات وضوحًا غير عادي، وكان المرء يتناول الطعام في حالة من السعادة تضاهي النشوة. تذكرت نظرية راموس، التي

شرحها خلال العشاء الأخير قبل وفاته، أن هناك شيئًا ما في خلايانا الضالة يدفعنا إلى أن نحسد المحكوم عليه بالموت، لأنه يعرف موعد وفاته. لا بد أن جواو كان يشعر بشيء مماثل، فهو أيضًا حكمت عليه الأقدار، وهو أيضًا كان يستمتع بالبهجة الغريبة لتناول وجبة بينما ينتظر الحكم بالموت. عندما ذهبت لإحضار البطة الثالثة، لاحظت أن لوسيديو وضع بضع شرائح مع بعض الصلصة في طبقٍ منفصلٍ، ونحاه جانبًا، أخذنا أنا وجواو على عاتقنا إنهاء البطة الثالثة. كان هذا على سبيل الاحترام من جانب الضيوف الآخرين للشخص الذي كان من المفترض أنه سيموت، بصرف النظر عن المعيار الذي يُطبق لذلك الهدف.

تنهد ساولو وقال:

- أنا من يجب أن يموت...

كان قد فُصل من عمله في شركة أندريه، ولم يتمكَّن من العثور على وظيفة أخرى، لم يكن يمتلك أي مال، وبالإضافة إلى ما يدين به لزوجته السابقة، كان عليه أن يعول ماركوس أيضًا. نظر بحسدٍ إليَّ أنا وجواو.

واصلنا تناول الطعام كرجلين محكوم عليهما بالإعدام.

جاء لوسيديو ومعه ما تبقى من البطة. اقترب من الطاولة على نحو رسمي نوعًا ما، وهو ملفوف في ذلك المئزر الهزلي الذي يصل طوله إلى الكاحل. لفَّنا الصمت، ثمانية من البكم يجلسون منتظرين أمام ثلاث جثث، كنَّا نعلم أننا ولجنا منطقة خانقة من القرارات الجسيمة. منذ تلك اللحظة فصاعدًا، سيصير نادي يخنة لحم البقر في مواجهة مع القدر، وعلى جميع الآخرين مغادرة الحلبة، بدت فترة مراهقتنا بعيدة للغاية.

قال لوسيديو:

- لقد تبقت كمية قليلة، هل هناك من يريدها؟

تبادلنا أنا وجواو النظر بعضنا إلى بعض، قلت:

- لا، فأنا أشعر بالامتلاء في الواقع. كانت لذيذة، لكن...

مدَّ جواو يده نحو الطبق.

- سوف أتناوله.

اقتباس الملك لير لتلك الليلة، بحثت عنه لاحقًا. أوضح لوسيديو أن سر البط بالبرتقال الذي يعده هو براندي التفاح الذي أضافه، وأن الصلصة نتاج "الاتفاق الودي" -قالها من دون ذرة من الفكاهة- بين التفاح والبرتقال، ثم علق قائلًا إنه يأمل أن نكون قد استمتعنا به.

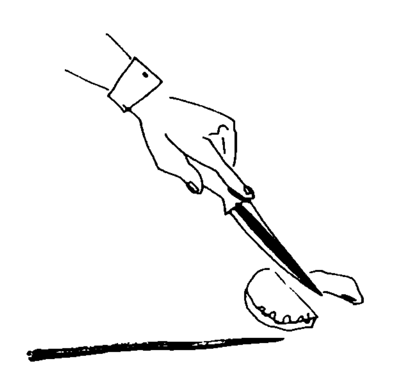
"أفضِّل كثيرًا أن أتعرض للهجوم لنقص الحكمة، بدلًا من تلقي الثناء على التساهل الخطر".

لست متأكدًا تمامًا من رد فعل صامويل حيال هذه الكلمات، أذكر على نحوٍ مشوشٍ أنه ابتسم وهزَّ رأسه، مثل شخص لا يستطيع تصديق ما يسمعه.

في آخر قصصي عن التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين، بعد أن صارت زولميرا امرأة عجوزًا واختبرت حب جميع أشكال النساء، أقامت علاقة مع مصاصة دماء عضَّتها في رقبتها، فتحوَّلت هي أيضًا إلى مصاصة دماء. باتت مهووسة بفكرة عض رقبة زينايد، فتضطر زينايد إلى أن تظل متيقظة على الدوام حيال أنياب شقيقتها، ويتحوَّل الحب الذي لم يتحقق بينهما إلى كراهية. تصور الاستعارة، إذا فهمت نفسي على نحو صحيح، رعب القدر الذي يختبئ في انتظارنا، على عكس المصير الذي قد يكون مروعًا، لكنه مؤكدٌ وواضحٌ أيضًا. تضع ليفيا يديها فوق أذنيها كلما حاولتُ أن أروي لها هذه القصص، وتحاول إقناعي بالتوجه إلى أدب الأطفال بدلًا من ذلك.

6

قشرة السمكة 2



كان جـواو هـو أول عضـو في المجموعـة يقـود سـيارة، إذ سرق سـيارة والـده، وحـشر سـبعة منًـا بالداخـل وأخذنـا في رحلـة انتهـت بسـقوط السـيارة في الحديقـة الخلفيـة لشـخصٍ مـا، بعـد أن قفـزت أولًا فـوق جـدارٍ أعـلى مـن السـيارة نفسـها، مـن دون أن نتمكّـن أبـدًا مـن معرفـة كيـف حـدث ذلـك. هربنـا إلى حانـة ألبـيري، وبعـد ذلـك بوقـتٍ قصـيرٍ، وصـل صاحـب المنـزل، ويُدعـى هومـيرو، برفقـة أحـد ضبـاط الشرطـة. انقطعـت أنفاسـنا جميعًـا، وكان جـواو ينـزف مـن جـرح في رأسـه بسـبب تمثـال في الحديقـة طـار مـن خـلال الزجـاج الأمامـي للسـيارة، عـلى نحـوٍ غـير

مفهوم مرة أخرى. حينها، قال ألبيري الكلمات التي ظللنا نكررها سنواتٍ بعد ذلك، كلما تذكرنا الحادث: "جميعهم ملائكة هنا". لم نكن أبرياء من اقتحام حديقة هوميرو فحسب، ولكن، بالنظر إلى نبرة صوت ألبيري، سنظل دائمًا أبرياء مهما فعلنا. لم تكن تلك تبرئة، بل لعنة، ولم يكن ذلك وضعًا عابرًا أو مجرد كذبة، بل تصنيفًا لنا. ولم يكن هناك من يشبه الملاك أكثر من ماركوس، التوأم 2، بملامحه الرقيقة وعينيه الصافيتين اللامعتين كعيني كلب الباسيت. كان قد سقط على وجهه مباشرة عندما نزل من السيارة، وكان لا يزال يرتجف والطين يغطيه، لكنه هو الذي أكد كلمات ألبيري لهوميرو والشرطي. أمضينا الساعتين الماضيتين في الحانة، ولا نعرف شيئًا عن أي سيارة، وكنا أبرياء؛ أنقذتنا عينا ماركوس تلك الليلة. تمت تبرئتنا جميعًا، ما عدا جواو، عندما تم التعرف على السيارة بوصفها مملوكة لوالده. تسببت عقوبة جواو في إبقائه بعيدًا عن الطرقات أكثر من شهر، والآن كان ماركوس هو أكثر من يذرف الدموع في أثناء السهر عند جثمان جواو في شهر مايو.

قال ماركوس:

- هذه عقوبة.

صار روحانيًّا، ولم يمنعه من الارتفاع محلقًا سوى وزنه. أصبح هو أيضًا غريبًا بمرور الزمن. ذات مرة، حاول جرَّ ساولو إلى التبت ولم يستسلم إلا عندما قام ساولو، بعد أن استخدم كل حجة ممكنة لإثنائه، ببسط ذراعيه واسعًا كي يتمكن ماركوس من إلقاء نظرة فاحصة عليه، حتى إنه دار حول نفسه ليتمكن ماركوس من تأمل كل تفاصيل ملابسه النظيفة وملابسه الداخلية وربطة عنقه الحمراء الفاخرة، وقال: "هل يمكنك حقًّا أن تتخيلني في جبال الهيمالايا؟"، فتخلى ماركوس عن فكرة التبت. لم يكن الاثنان يفترقان قطُّ. كان

ماركوس يتيمًا وربَّته خالته، والدة ساولو. وعندما تزوج ماركوس من أولجينيا وخيَّب آمال جميع الفتيات الأخريات اللواتي وقعن في حب هيئته الرومانسية وعينيه الشبيهتين بعيني الجرو -أو على حد تعبير صامويل، عيني داعر تائب- لم يكن تعليق جواو على الأمر يبعد كثيراً عن الحقيقة عندما قال: "أتساءل عمَّن سينام في المنتصف". رافقهما ساولو في شهر العسل، رغم أنه أقسم إنه نام في غرفة منفصلة. قام ساولو على حماية ماركوس، وأصرَّ على أن ابن خالته كان رسامًا عظيمًا، حتى عندما تقبَّلت بقية المجموعة حقيقة أن ماركوس كان، في الواقع، متوسط الموهبة فحسب. كما كان يشتري لوحات ماركوس سرًّا، حتى يعتقد ماركوس أن معارضه ناجحة. كان لدينا جميعًا في منازلنا العديد من اللوحات التي رسمها ماركوس، والتي قدمها لنا ساولو. وعندما هجرت أولجينيا ماركوس من أجل رجل من الأوروجواي، أقسم ساولو على الانتقام، ليس فقط من أولجينيا والرجل القادم من الأوروجواي، بل فكر أيضًا في طرق لإلحاق الضرر بأوروجواي من خلال تنظيم المقاطعات والمظاهرات المناهضة لها. كان ماركوس هو طفل المجموعة، حتى صامويل لم يستطع توجيه الإهانات إليه عن اقتناع، واكتفي بتعليقاتٍ من نوعية: "يمكن أن يصبح الداعر قديسًا، أو العكس". كان ماركوس الوحيد من أصدقائي الذي أحبَّته ليفيا، حتى إنها تمكَّنت ذات مرة من إقناعه باتباع أحد برامجها الغذائية، وممارسة الرياضة، وتناول الوجبات المخطط لها والكثير من الألياف، لكن ذلك لم يدم طويلًا. ما لم تدركه هو أن مظهر ماركوس الخارجي الملائكي يخفي خلفه شهية شيطانية. مع مرور الزمن، أصبح فناننا الرومانسي سمينًا وقبيحًا، وازداد روحانية أكثر فأكثر. كان يعود إلى الواقع لزياراتٍ قصيرة فقط، وكي يتناول الطعام. رسم لوحاتٍ روحانية رمزية مبتذلة، لكن لحسن الحظ، لم يعد في إمكانه العثور على أي شخصٍ مستعد لعرضها، فحصلنا عليها كهدايا من ساولو.

قال ماركوس في جنازة جواو، بمجرد أن توقَّف عن البكاء:

- إنه عقاب.

سألته:

- ماذا تعني؟
- نحن نُعاقَب.
- لكن لماذا؟

تلك العينان اللامعتان الصافيتان، عينا جرو تقدم به السن الآن.

- لماذا؟ لماذا؟ كيف لا يزال في إمكانك أن تسأل لماذا؟

كنَّا نتهامس في الزاوية، وكانت الأصوات الأخرى الوحيدة في الكنيسة هي البكاء الصادر عن عائلة جواو. نظرتُ حولي بحثًا عن وجه تبدو عليه أمارات الرضا، لكن لم يكن هناك أي من المستثمرين الذين خدعهم جواو وسرق أموالهم.

قلتُ:

- انظر، لم يُسمِّم أحد في شقتي.

لكن ماركوس واصل قائلًا:

- نحن نُعاقَب على خطايانا، وعلى فساد أرواحنا.

أمسك ساولو بذراع ماركوس.

- اهدأ يا ماركوس.

في العشاء الأخير قبل وفاته، تحدَّث إلينا راموس عن الحسد السري الذي نشعر به جميعًا تجاه الرجل المحكوم عليه بالموت. كان يعلم حينها أنه سيموت بالفعل، كما كنَّا نعلم نحن أيضًا. أقيمت مأدبة

العشاء في شقتي، وكان صامويل مسؤولًا عن الطعام والشراب. قدمنا أطباق راموس المفضلة: الكركند مع المايونيز، ولحم الضأن بصلصة النعناع. ووفقًا له، كانت صلصة النعناع هي الإسهام الوحيد لإنجلترا في الحضارة الغربية، بجانب شكسبير والنظام البرلماني، على الرغم من أنه لم ينجح تمامًا في إقناعنا بذلك قطُّ. كان راموس العضو الوحيد في المجموعة الذي يحب صلصة النعناع. قال راموس إن حياتنا أشبه بقصص القتل المروية على نحو سيئ، وتفتقر إلى أي تناسق أو تجليات للفن. كنَّا نعرف هوية القاتل منذ البداية مباشرة، لقد وُلِد معنا: نولد ونحن مرتبطون بقاتلنا، نعم، تمامًا مثل -وباركني عن بُعدٍ بيده التي تمسك السيجار- توأمتي دانييل الملتصقتين. نحن نكبر مع قاتلنا، ولم تكن هويته لغزًا على الإطلاق. كانت لدينا نفس الشهوات ونقاط الضعف، وارتكبنا نفس الذنوب. لكننا لم نعرف قطُّ متى سيقتلنا، ولم نعرف قطُّ ما هي اللعبة التي يلعبها. إن معرفة ساعة وطريقة موتنا أشبه بأن يقدم لنا أحدهم الحبكة ومعها الخاتمة، مع كل المزايا التي يتفوق بها الأدب البوليسي على الحياة الواقعية. إن معرفة مصيرنا بمنزلة اختلاس نظرة على الصفحة الأخيرة من الكتاب. نقرأ حياتنا بشكلٍ مختلفٍ، بوصفنا متواطئين مع كل من المؤلف والقاتل. نحصل على التناسق والمعنى والمنطق، أو بالأحرى المفارقة الساخرة التي هي شكل أدبي من أشكال المنطق. قال راموس إن الطريقة الذكية الوحيدة لقراءة قصة بوليسية هي أن نبدأ بالنهاية، وابتسم بحزن لاحتجاجات تياجو، فتى الشوكولاتة، الذي تضمنت موضوعات هوسه العديدة إدمان كل من الشوكولاتة والأدب البوليسي. إن سبب حسدنا للرجل المحكوم عليه بالموت هو الامتياز الذي يتمتع به في معرفة كيف ومتى ستنتهي حياته. نحسده على كونه قارئًا أفضل منَّا. وخلص راموس إلى أنه لا يوجد قراء يتسمون باللامبالاة من بين المحكوم عليهم بالموت. يجب على جميع الكتَّاب والنقاد وجميع

الذواقة محبي الطعام أن يعيشوا دائمًا كما لو أنهم على وشك الموت. في تلك الليلة، ولأول مرة منذ تأسيس نادي يخنة لحم البقر، لم يدعُ راموس إلى شرب نخب مع كونياك، كنَّا نعلم جميعًا أن هذه آخر مرة نتناول فيها العشاء معًا، ومع ذلك، لم نكن نعلم أن النهاية ستأتي بهذه السرعة، في اليوم التالي، دخل راموس المستشفى، حيث تُوفي قبل منتصف الليل بقليلٍ.

نهض صامويل على قدميه، وقدَّم النخب وهو يرفع كأسه إلى راموس.

- في نخب وغدنا المقدس.

كان السهر عند الجثمان في شهر مايو هو الأكثر اضطرابًا على الإطلاق، لم تجد عائلة جواو أي تفسير لوفاته. كان قد عاد إلى المنزل بعد العشاء، وهو نصف ثمل، ورفض الذهاب إلى الفراش، كما رفض حتى الجلوس. قال إنه يريد أن يكون واقفًا على قدميه عند "وصوله". تُرى مَن يكون؟ كان جواو مضطربًا للغاية، لم يوافق أخيرًا على الاستلقاء فوق الأريكة إلا مع بزوغ الفجر، ولم يستيقظ مرة أخرى؛ أصابته نوبة قلبية. هو الذي لم يسبق له وأن أصيب بالمرض ولو يومًا واحدًا في حياته، ولم يفقد حس الدعابة قطُّ، ونجا من الأزمات، والتهديدات بالإجراءات القانونية والموت واحتمال الخراب الوشيك، كل ذلك بضغط دم صبي صغير، كررت والدته قائلة بسخطٍ: صبي صغير، كيف كان ذلك ممكنًا؟

أتت ليفيا إلى الكنيسة، وقدمت التحية لوالدة جواو وزوجته، ثم توجهت نحوي كما لو أنها على وشك أن تضربني.

- ما الذي يحدث، يا زي؟

- فلتهدئي، هذا ليس المكان المناسب.

- ما الذي يجري؟ ماذا يحدث؟

- انظري، لم يُسمَّم أحدٌ في شقتي.

كيف كان ذلك ممكنًا؟ ثلاث مآدب عشاء، وثلاث وفيات، ما الذي يحدث؟ طلبتُ من ليفيا أن تخفض صوتها، لكن زوجة جواو، التي أدركت أنها اكتسبت حليفًا، جاءت ووقفت بجوار ليفيا تحت أنفي مباشرة، وطلبت تفسيراً لما حدث. ضم أعضاء نادي يخنة لحم البقر صفوفهم خلفي، حيث إن النادي يتولى العناية بأعضائه. قال صامويل إنه لا أحد في حاجة إلى شرح أي شيء، فالأمر كله مجرد قدرٍ، كما بدأ ساولو أيضًا في الدفاع عنًا، لكنه اضطر إلى التوقف عندما رأى أن ماركوس لم يعُد إلى جانبه، وقف ماركوس بجوار التابوت، وبدأ في إلقاء خطاب للرجل الميت.

- أيها المذنب...

تمكَّن ساولو من جرِّه بعيدًا قبل أن يصل إلى ما هو أبعد من ذلك، لكن والدة جواو كانت قد ألقت برأسها إلى الخلف بالفعل وهي في حالة صدمة، تلهث طلبًا للهواء. اعتقدنا أنه من الأفضل لنا أن ننسحب انسحابًا جماعيًّا، نحن الناجون السبعة، قبل أن نتعرض للطرد. عند رحيلنا، سمعنا أحدهم يذكر تشريح الجثة؛ لا يمكن أن تستمر الأمور على هذا النحو.

تولَّت ليفيا، بمساعدة قوات زوجة والدي، تنظيف مطبخي بالكامل من أعلاه إلى أسفله، غيَّرت كل الأواني والمقالي، وطهَّرت الشرفة، ثم طالبت بمعرفة المزيد عن "لوسيديو هذا" الذي يتولَّى طهي عشائنا، من أين أتى؟ قد تكون الجراثيم القاتلة عالقة على يديه.

حاولتُ تغيير الموضوع، لكن ليفيا أصرَّت، أرادت أن تكون موجودة عندما يطهو مأدبة العشاء التالية للمجموعة، وهي تفترض دائمًا أننا مجانين بما يكفي لمواصلة مآدب العشاء بعد وقوع ثلاث وفيات.

بعد أسبوعين من جنازة جواو، اتصل بي لوسيديو.

- أنا آسف جدًّا بشأن جواو.

- هممم.

- هل كان قلبه هو السبب؟

- على ما يبدو، كان هناك حديث عن إجراء تشريح للجثة، لكنني لا أعتقد أنهم فعلوا ذلك.

- تشريح؟

- لمعرفة سبب وفاته، أعني، ربما يكون قد تسمَّم.

- هل تقصد وجود السم في الطعام؟

- هذا صحيح.

لم يقل شيئًا، وفجأة شعرتُ بالذعر، لم أكن أريده أن يأخذ هذا على محمل خاطئ، ويغلق الهاتف ويختفي من حياتنا إلى الأبد، ليس قبل أن يعد لي فخذ الضأن، قلت:

- هل لا تزال موجودًا هنا؟

- نعم.

- هل نناقش مأدبة عشاء شهر يونيو؟

كنَّا قد اتفقنا على أن يتحمَّل باولو تكاليف عشاء شهر يونيو، ولكن سيتم تقديمه في شقتي، كما كان الحال بالنسبة إلى مآدب العشاء الأخرى.

قال:

- بالطبع.

أطلقت تنهيدة ارتياح.

- ما الذي تفكر في طهيه؟

- سأعد الطبق الرئيسي من فطائر الكيش.

- حسنًا.

الكيش، كان ماركوس مولعًا بفطائر الكيش.

أبلغت ليفيا بموعد خاطئ لمأدبة العشاء، حتى لا تصادف لوسيديو في المطبخ في أثناء تحضير الوجبة. اشتكى لوسيديو من تغيير القدور. لحسن الحظ، اشترت ليفيا أواني جديدة للكيش بدلًا من القديمة، رغم أنه كان يفضِّل الأواني القديمة. في ليلة العشاء، بمجرد وصول الجميع، جمعتهم معًا في غرفة مكتبي وأغلقت الباب. إذا خرج لوسيديو من المطبخ، حيث قضى فترة الظهيرة بأكملها في تحضير العشاء، فلن يتمكَّن من مفاجأتنا، تكلمنا بأصوات خافتة حتى لا يسمعنا من الباب، كنَّا في حاجة إلى التحدث.

- أبيل، أندريه، جواو... إذا كان الترتيب أبجديًّا، فقد فوَّتك يا دانيال، لماذا فعل ذلك؟

قال ماركوس:

- - الأمر ليس بالترتيب الأبجدي.

- ما هو الترتيب الذي يتبعه إذن؟

- إنه بترتيب الخطيئة، كان أبيل أول العشرة لأنه هجر الكنيسة، أليست الوصية الأولى هي "الرب إلهك تتقي"؟

تبادلنا جميعًا النظرات فيما بيننا، لم يكن أحد يعرف ترتيب الوصايا العشر.

سأل صامويل:

- ما هي خطيئة أندريه إذن، بصرف النظر عن كونه مملًّا، بالطبع؟

- وجـواو؟ لا تغطـي الوصايـا في الواقـع كونـك كاذبًـا ومرابيًـا ومحتالًا وراويًـا للنـكات البشـعة، أم هـل تفعل؟

قال بيدرو:

- إنها بالترتيب الأبجدي.

- أو لا يوجـد ترتيـب عـلى الإطـلاق، إنـه يختـار شـخصًا ليمـوت، ويصنـع الطبـق المفضـل لهـذا الشـخص.

نظرنـا جميعًـا إلى ماركـوس، إذ إنـه بالنظـر إلى كونـه اسـتوفى كلا المعياريـن، فقـد جـاء دوره.

أصر ماركوس قائلًا:

- إذا كان الترتيب أبجديًّا، فلماذا فوَّت دانيال؟

- لأن دانيـال يمتلـك الشـقة والمطبـخ وهـو مـن قدَّمـه إلينـا، وفقًـا لأي معيـار، سـيكون دانيـال آخـر مـن يمـوت.

قال بيدرو:

- الشخص الذي يموت دائمًا هو من يطلب المزيد.

سألت:

- كيف يموت؟

- ما الذي تعنيه بـ"كيف"؟ بالسم.

- انظر، لم يُسمَّم أحد في شقتي.

- أوه، عليـك أن تسـتفيق، يـا دانيـال، إنـه يسـمِّمنا واحـدًا تلـو الآخـر، لا بـد أن يكـون السـم مـن تلـك السـمكة.

- أي سمكة؟

- تلك السمكة اليابانية التي حكى لنا عنها.

سأل صامويل:

- أنتم لا تصدقون هذه القصة في الواقع، أليس كذلك؟

- ولِمَ لا نصدقها؟ أخبرنا أنه درس الطبخ في باريس، والأطباق التي يعدها تثبت صحة ذلك. كما قال إنه يمكنه الحصول على سم قاتل، والوفيات الغامضة الثلاث بعد العشاء الذي أعدَّه تثبت أن هذا صحيحٌ أيضًا، ثم أن هناك قشرة السمكة تلك.

قال صامويل:

- قشرة السمكة لا تثبت شيئًا.

- ولِمَ لا؟

أخرج صامويل محفظته، وعرض علينا قشرة سمكة مطابقة لتلك التي أرانا إياها لوسيديو.

- لأن لديَّ واحدة أنا أيضًا.

وفقًا لصامويل، يمكن شراء قشرة السمكة المغلفة بالبلاستيك هذه في أي متجر يبيع المشغولات اليابانية، ولم يكن الإيديوجرام يعني "كل رغبة هي رغبة في الموت"، أو "الجوع حوذي أصم"، ولا أي هراء آخر من هذا القبيل، بل كان ببساطة الإيديوجرام الذي يعبر عن كلمة "بحر". وكان مصدر القشرة سمكة قد تكون أو لا تكون سامة، ولكن من المرجح بدرجة أكبر أن تكون من إحدى أسماك الزينة. قال بيدرو إن هذا لا يثبت أي شيء أيضًا، لأن الحقيقة هي أن لوسيديو كان يسمِّمنا، ومن الواضح أن ماركوس هو الضحية المختارة لعشاء الليلة، وكان علينا أن نقرر ما يجب القيام به، ما رأيك يا ماركوس؟

لكن ماركوس رفع رأسه، وكانت هناك ابتسامة خفيفة على شفتيه، لم يسمع كلمة مما قلناه.

قال ماركوس:

- فلتشموا تلك الرائحة فحسب.

سأله ساولو:

- ماذا؟

- رائحة الكيش.

مقبلات بديعة، وهليون عملاق من عساه يدري من أين ابتاعه، مع صلصة هولندية، وفطائر كيش لورين... شهية، ولذيذة، ورائعة، اثنان لكل شخص، مِلء الطبق بأكمله، عادت جميع الأطباق إلى المطبخ فارغة. كانت النغمة النشاز الوحيدة في الأمسية هي نبيذ باولو. كان باولو يعمل لدى بيدرو، الذي كان مفلسًا. وفقًا لصامويل، فإن القاعدة في مثل هذه الحالة هي أن يزداد نبيذ الموظفين سوءًا مع تحسُّن نبيذ رب العمل، لأن رب العمل يبدأ في الإنفاق على الكماليات أكثر مما ينفق على عمله الفاشل وموظفيه، كي يواسي نفسه. كان النبيذ نبيذًا برازيليًّا، مما دفع صامويل إلى توجيه الإهانات إلى كل من باولو وبيدرو، هدَّد صامويل بإذابة كم سترة باولو عن طريق نقعها في النبيذ، عندما خرج لوسيديو من المطبخ ومعه فطيرة كيش في صحن، وقال:

- تبقَّت واحدة، من يريدها؟

تبع ذلك صمتٌ طويلٌ وعميقٌ، تبادل ماركوس وساولو النظر بعضهما إلى بعض، أخيراً، قال ساولو:

- أنت لا تريدها، أليس كذلك يا ماركوس؟

حتى يغيِّر الموضوع، سأل تياجو عن الحلوى، لكن لوسيديو لم يرد، قال صامويل:

- اتركها يا ماركوس.

قال بيدرو:

- نعم، دعونا ننتقل إلى الحلوى.

بقـي ماركـوس عـلى صمتـه، نظـر إلى الكيـش، ثـم إلى سـاولو، ثـم إلى الكيـش مـرة أخـرى، تنهـد قائـلًا:

- أريدها.

تردَّد ساولو، ثم قال:

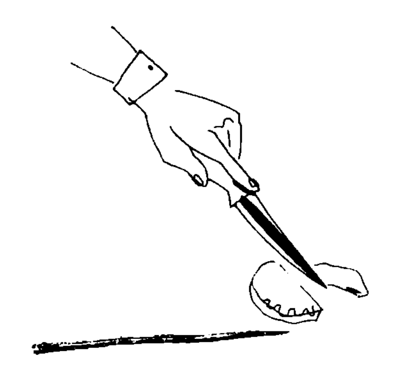
- إذن سآخذ قطعة أنا أيضًا.

عـاد لوسـيديو إلى المطبـخ وجلـب طبقًـا آخـر، قسَّـم الكيـش إلى جزأيـن متسـاويين، ووضـع الطبقـين عـلى المائـدة أمـام ماركـوس وسـاولو، حـدث كل هـذا في صمـتٍ مطلـقٍ، تنـاول كل مـن ماركـوس وسـاولو الطعـام في صمـتٍ، وجلسـنا في صمـتٍ حتـى انتهيـا مـن الأكل، وقـف لوسـيديو بجـوار الطاولـة. عقـب انتهائهـما، قـال صامويـل، الـذي بـدا أن الخطـوط الغائـرة في وجهـه تـزداد مـع تقـدم الأمسـية:

- "لم يقع الأسوأ بعد، طالما كان بمقدورنا القول "إن هذا هو الأسوأ"".

الملك لير، الفصل الرابع، المشهد الأول.

وابتسم لوسيديو ابتسامته المشدودة.



7

صبية عابثون



ذات مـرة، قضينـا فـترة مـا بعـد الظهـيرة بأكملهـا في الوكالـة، أنـا وماركـوس وسـاولو، نتناقـش بشـأن المـرأة المثاليـة. كنـت أتـودَّد في ذلـك الوقـت إلى المـرأة التـي صـارت زوجتـي الأولى، تلـك التـي عندمـا افترقنـا لاحقًـا، أصرَّت بشـكلٍ مؤثِّـرٍ عـلى الاحتفـاظ بتمثـالٍ صغـيرٍ اشـتريناه معًـا، باعتبـاره "تـذكارًا لأوقاتنـا السـعيدة"، وعندمـا وصلـت إلى البـاب الأمامـي، اسـتدارت وألقـت بالتمثـال الصغـير نحـو رأسي. كان لدينـا جميعًـا صديقـات، ثابتـات وغـير ثابتـات، باسـتثناء صامويـل، الـذي كان يحتقـر

الفتيات "اللطيفات"، وكان زائرًا منتظمًا لبيوت الدعارة في المدينة. لكن لم تكن أي من هؤلاء الصديقات تمتلك ولو حتى واحدة من السمات التي اتفقنا على أنها تشكِّل المرأة المثالية. بعد ظهيرة ذلك اليوم، وصفنا شعرها وبشرتها وحتى حدَّدنا شكل أسنانها، واتفقنا على أن وجود قواطع بارزة قليلًا تدفع شفتها العليا إلى الخارج -مجرد نسبة بسيطة- لن يؤدي إلا إلى زيادة كمالها. اخترنا نبرة الصوت، والثديين، والساقين، وحتى سمك كاحليها. ومع ذلك، عندما انتهينا من وصف المرأة بالكامل وتجادلنا حول ما إذا كنَّا سنتشارك فيها أو نتقاتل حتى الموت من أجلها، أدركنا حينها فقط أننا وصفنا مارا، زوجة بيدرو. سرعان ما ابتكرنا اسمًا لمثلنا الأعلى، لم يكن يشبه اسم زوجة صديقنا في شيء: فيرونيكا روبرتا، كنَّا نحلم بفيرونيكا روبرتا كلما حلمنا بمارا، التي لا يمكننا أن ننالها أبدًا.

طوال عشرين عامًا، لم تفقد مارا أيًّا من جمالها الهادئ، صار لديها بعض الشعر الأشيب الذي لم تحاول إخفاءه، وأصبح جسدها أثقل وأكثر امتلاء، لكن قوامها كان لا يزال هو النموذج المثالي الذي فاز بحماستنا. تأمَّلت وجه ساولو في التابوت، ثم وقفت فترة طويلة تتأمل وجه ماركوس، الذي بدا في موته كأنه استعاد شبابه وملامحه الملائكية. لطالما كان ماركوس هو المفضَّل لديها. قالت لي ذات مرة، بعد علاقتها مع صامويل وطلاقها من بيدرو: "إن ماركوس هو الوحيد من بينكم الذي يساوي شيئًا". توجَّهت مارا نحوي، وكان صامويل بجانبي. سار السهر عند جثمان التوأم 1 والتوأم 2 بسلاسة شديدة، في تباين ملحوظ مع الاضطراب الذي وقع في السهر عند جثة جواو، وعلى الرغم من الصدمة التي سبَّبتها الوفاة المتزامنة لابني الخالة، والحيرة المتزايدة بشأن المآسي التي تحدق بنادي يخنة لحم البقر، الذي فقد خمسين في المائة من أعضائه في أربعة أشهر فقط، قدمت لي مارا التحية. تردَّدتُ، ثم قلت:

- أنت تذكرين صامويل، أليس كذلك؟

تراجعت مبتعدة.

- صامويل!

كان يبتسم، مع الحرص على عدم فتح فمه وكشف أسنانه المتعفنة. بدت الهالات السوداء تحت عينيه كما لو أنها مظللة بالفحم بشكل سيئ.

- كيف حالك يا مارا؟

عجزت عن الحديث، تبادلا النظر إلى بعضهما، ومارا فاغرة فمها، بينما جعلت ابتسامة صامويل المتكلفة وجنتيه تبدوان غائرتين أكثر مما هما بالفعل، ثم هزَّ كتفيه كأنه يعفي نفسه من كل المسؤولية على مرور الزمن، ويعتذر لكونه الجثة الثالثة في السهر عند الجثمان، انفجرت مارا بالبكاء.

لم نعرف قطُّ ما إذا كان بيدرو قد اشتبه في أن مارا خانته مع صامويل. كان الأمر بمنزلة صدمة بالنسبة إلينا، لم نستطع أن نتخيل ببساطة أن المرأة المثالية يمكن أن تكون على علاقة بصامويل ذي الأربع بيضات، مهما كان لا يقاوم... لم يزعجنا التفكير في مارا وبيدرو في الفراش معًا. منذ أن كنَّا صبية، اعترفنا بكل رضا بحق بيدرو في جميع الامتيازات التي أتاحها لها مولده، من دون الشعور بالنقص بأي شكلٍ من الأشكال. عندما بدأ في تلقي جميع دروسه في المنزل، أسفنا على فقدان زميل، لكننا لم ننبذه أو نحسده. وعندما منعته والدته من الاختلاط بنا، فهمنا قلقها، فلقد كنَّا حقًّا قذرين وخطرين. حينما حصل بيدرو على سيارته الأولى في عيد ميلاده الثامن عشر، وافقنا على الشروط التي وضعها إذا أردنا التنقُّل بها: أن يركب اثنان فقط في كل مرة حتى لا نجهد نظام التعليق بالسيارة، وأن نرتدي حذاءً

نظيفًا، وشعرنا جميعًا بالسعادة الحقيقية للسيارة الجديدة. وعندما عرَّفنا بيدرو على صديقته مارا، بشعرها الطويل الأملس، وبشرتها ناصعة البياض، وقواطعها غير المثالية بعض الشيء -ولكنها غير مثالية فقط إلى درجة الكمال- خلصنا إلى أن هذه كانت مجرد جائزة أخرى مستحقة تمامًا منحتها الأقدار لرفيقنا ابن الملك. استمر شهر عسل بيدرو ومارا في أوروبا لمدة عام تقريبًا، ورافقناهما في خيالنا من فراش إلى آخر. عقب عودتهما، أخذ بيدرو مكانه في شركة والده، ثم حل محل والده مديرًا عندما توفي والده، وفي العشرين عامًا التالية، دمَّر الشركة، كما توقعنا، وفقد مارا، الأمر الذي لم نغفره له أبدًا. عندما قام نادي يخنة لحم البقر بأول رحلة له إلى أوروبا، لم يكن بيدرو ومارا قد انفصلا بعد، لكنه اصطحب معه امرأة أخرى، وبالتالي حرمنا من صحبة مارا. تعيَّن علينا أن نقنع بأحلامنا بفيرونيكا روبرتا، التي لم تخيب أملنا أبدًا، على سبيل المثال، لم تكن فيرونيكا روبرتا لتقيم علاقة مع صامويل ذي الأربع بيضات على الإطلاق.

في تلك الرحلة الأولى إلى باريس مع نادي يخنة لحم البقر، تحدث راموس معي للمرة الأولى والوحيدة عن مثليته الجنسية. كنَّا نسير على ضفاف نهر السين في وقتٍ متأخرٍ بعد ظهيرة أحد الأيام، وحكى لي عن تجاربه الباريسية. اعتاد زيارة باريس بانتظامٍ منذ أن كان شابًّا، وفي فترة من الفترات عاش لمدة أربع سنوات في شقة في مونبارناس. كان يعود إلى زيارة باريس كل عام، أحيانًا أكثر من مرة، كان لديه صديق في باريس، صديق مقرب جدًّا، ثم صحح حديثه، كما لو أنه توصَّل إلى قرار.

- لا، إنه ليس صديقًا، بل هو عشيقي.

- آه.

قلتها لمجرد التفوه بأي شيء فحسب.

- لقد التقينا هنا، إنه برازيلي.

- آه.

- لم أذهب لزيارته هذه المرة، الموضوع برمته معقد بعض الشيء...

نظرت خلسة إلى وجه راموس، محاولًا أن أجد سببًا لتلك الحاجة المفاجئة التي دعته إلى أن يبوح لي بسرِّه. كان محض صدفة كوننا نسير معًا، ولم يكن بيننا أي تقارب خاص، بعيدًا عن تقارب المجموعة ككل. لقد كان منظمنا ومعلمنا، وكنا جميعًا نقدِّره، لكننا لم نعرف عنه سوى أقل القليل. كان صامويل هو من قدَّمه إلى المجموعة، لكن لم يبدُ أن صامويل نفسه حتى يعرف الكثير عن حياته الخاصة. لطالما أشار إليه صامويل بوصفه "شاذًّا"، بسبب غرابة أطواره وسلوكياته المتكلفة. لكن بعد سنوات، عندما كان راموس يحتضر بسبب الإيدز في المستشفى، بدا صامويل هو الأكثر شعورًا بالمرارة بشأن هذا التأكيد على شذوذ راموس الجنسي، مما وضع حدًّا لافتراضنا أنهما كانا عشيقين.

- آه.

- لديَّ صديق آخر في البرازيل.

- آه.

- هل أصيبك بالضجر؟

- لا، لا.

- إن العلاقات العاطفية دومًا مملَّة، لا سيما تلك المعقدة منها.

- لا، لا.

- إن التنـوع اللامتناهـي للسـلوك البـشري ليـس رائعًـا كـما يقـول النـاس، بـل هـو سـبب كل أحزاننـا.

- آه.

لم أشـعر بالارتيـاح للعـب دور كاتـم سر رامـوس، لمـاذا أنـا؟ بمـا أننـي كنـت أثرثـر رغـمًا عنـي، فلـم أكـن أكـثر شـخص محـل ثقـة للعـب دور كاتـم الـسر.

- لـو كانـا يتصفـان بالعقـل، لاختلـف الأمـر، لكنهـما ليسـا كذلـك، إنهـما أحمقـين، ويتسـمان بالقسـوة.

- هل يعرف بعضهما بعضًا؟

- أوه، نعم، ويكره بعضهما بعضًا.

ثم أضاف قائلًا:

- إنهما صبياي العابثان.

أخطـأت السـمع، وتخيَّلـت أنـه قـال شـيئًا لـه علاقـة بالطعـام الصينـي، لكـن رامـوس أوضـح أنـه يقصـد "عابثـين"، بمعنـى شـقيين ومؤذيـين وسـيئين، كان تعبـير "الصبيـة العابثـون" اقتباسًـا مـن شكسـبير.

في تلـك الليلـة، تناولنـا العشـاء حـول طاولـة كبـيرة في أحـد أقـدم المطاعـم في باريـس، وألقـى رامـوس خطابًـا باللغـة الفرنسـية في أثنـاء تنـاول الكونيـاك، مـما أثـار اسـتياء غالبيـة الأعضـاء. وكاد صامويـل يتسـبَّب في وقـوع مشـكلة، بـإصراره عـلى منـاداة النُـدُل بلقـب "السـيد وغـد". بعـد ذلـك اليـوم في باريـس، لم يحدثنـي رامـوس مـرة أخـرى عـن حياتـه الخاصـة، ولم أسـأله عـن ذلـك مطلقًـا.

في جنـازة التوأمـين الملتصقـين، جـاءني رجـلٌ وعرَّفنـي بنفسـه، اعتقـدت أنـه قـال إنـه مفتـش، وقبـل أن يسـألني عـن أي شيء، قلـت:

- انظر، لم يُسمَّم أحد في شقتي، أيها المفتش.

لكنني كنت قد أخطأت السمع، صحَّح لي قائلًا:

- لا، لست مفتشًا، اسمي سبيكتور، ها هي بطاقتي.

كان اسمه اوخينيو سبيكتور، وكان الشيء الآخر الوحيد المدوَّن على بطاقته، إلى جانب رقم هاتفه، هو كلمة "مناسبات". أراد التحدث معي، عندما يكون الوقت مناسبًا؛ كان لديه اقتراح قد أجده مثيراً للاهتمام. طلب مني الاتصال به هاتفيًّا، وأشار بيده كالأسقف في إيماءة شملت كل شيء حولنا، وقال: "بمجرد أن تتعافى من حزنك". كان السيد سبيكتور هنا منذ أيام قليلة... لكن ها أنا أستبق نفسي مرة أخرى، دانيال، توقف عن ذلك!

بعد الجنازة، عدنا إلى شقتي حيث اجتمعنا في غرفة المكتب، المجموعة الكاملة للأعضاء الناجين من نادي يخنة لحم البقر: نحن الخمسة جميعًا. في الجنازة، ظلَّت ليفيا تقول: "هذا جنون، يا زي، جنون. يجب أن تتوقفوا عن عقد مآدب العشاء هذه". وكان الموضوع المطروح للنقاش هو هل نتوقف عن عقد مآدب العشاء أم لا؟ كان بيدرو هو المضيف القادم، وتبعًا للترتيب الأبجدي -بما أن ساولو اختار الموت بعيدًا عن الترتيب- يجب أن يكون باولو هو من سيحل عليه الدور كي يموت.

سألت:

- إذن، هل نلغي مأدبة العشاء؟

قال باولو من دون لحظة تردد:

- لا.

قال صامويل:

- أعتقد أننا يجب أن نصوِّت للأمر.

قال باولو:

- أنا الطرف الأساسي صاحب الشأن، وسوف تمضي المأدبة قدمًا.

اقترح بيدرو أن يختار هو قائمة الطعام بدلًا من لوسيديو، فعارضه باولو. سيقرر لوسيديو ما سوف يعدُّه من طعامٍ. اقترحت أن نشرف على إعداد الوجبة، وخاصة تلك الحصة المصرية الأخيرة من الطعام، فاعترض باولو على ذلك أيضًا، يجب أن يتمتع لوسيديو بكامل الحرية لأداء عمله.

قال باولو:

- كن صادقًا، بغض النظر عن الوفيات، هل سبق لك أن أكلت طعامًا جيدًا في حياتك كلها مثل ذلك الذي تناولته في مآدب عشاء لوسيديو؟

- لا، ولكن...

- وهناك شيء آخر، إذا بدأنا التدخل في عمله، فسوف يختفي، سيرحل، وسيتركنا.

قال تياجو:

- نحن الذين نختفي، واحدًا تلو الآخر، واحد في الشهر، سينتهي نادي يخنة لحم البقر ليس بسبب عدم وجود طباخ، ولكن بسبب نقص الأعضاء، كلنا نموت!

بعد ذلك مال باولو إلى الوراء على الأريكة، أسفل إحدى لوحات ماركوس التي تصور، وفقًا للفنان، صراع الكائن المفرد لتحرير نفسه من ثنائية الجسد والروح، وقال:

- حسنًا، أنا لا أدري عنكم، لكنني حقًّا لا أكترث.

اتصلت بي ليفيا هاتفيًّا للاطمئنان على حالي، قلت إنني بخيرٍ وسأحاول الحصول على قسطٍ من النوم. سألتني عمَّ إذا كان هناك أحد معي، فكذبت قائلًا: "لا"، كان صامويل قد بقي بعد أن رحل الآخرون، انتابه الاكتئاب الشديد لوفاة ماركوس وساولو، ولقائه مع مارا.

- فلتوقف هذا الجنون، يا زي!

- بالطبع.

- أوقفوا مآدب العشاء هذه، وأبلغوا عن ذلك الطاهي!

- طبعًا، طبعًا.

عندما أنهيت المكالمة، كان صامويل يتأمَّل إحدى لوحات ماركوس -وهي واحدة من لوحات عديدة تبرع لي بها ساولو- وهي تزين جدران غرفة مكتبي.

- هل تعتقد أن ماركوس انتحر كعملٍ من أعمال النقد الذاتي؟

- هل هذا هو ما نفعله؟ ننتحر؟

- أنا لا أفعل، هل تفعل أنت؟

تذكرت النشوة التي شعرت بها عندما تناولت البط بالبرتقال، عندما كان هناك احتمال أن أكون الشخص المختار للموت. ذلك الشعور الذي وصفه راموس بدخول منطقة مميزة، حيث كل شيء واضح وحتمي، وحيث تصير حواس المرء حادة إلى أقصى الدرجة، منطقة الرجل المحكوم عليه بالموت، أو متذوق الفوجو كما وصفه لوسيديو.

- صامويل، فلتخبرني بشيء.

- ماذا؟

- لماذا تمتلك قشرة سمكة مشابهة لتلك التي يمتلكها لوسيديو؟

- اسأل لوسيديو عن سبب امتلاكه لقشرة سمكة مشابهة لتلك التي أمتلكها أنا، وبالمناسبة، لقد كذب عليك بشأنها.

- من أين حصلت على تلك التي لديك؟

- كانت هدية.

- لماذا تعتقد أن لوسيديو كذب بشأن قشرة السمك؟

- لقد أراد إثارة فضولك، هذه القصة برمتها عن سمكة الفوجو هي محض اختراع، كل ما أراده هو أن يثير اهتمامك فحسب؛ كان يعرف اهتمامك بكل ما هو غريب.

- كيف عرف؟

- لا بُدَّ أن أحدهم قد أخبره.

- هل تعتقد أنه فعل كل ذلك لمجرد أن أدعوه إلى الطهي لنا، حتى يتمكَّن من تسميمنا فحسب؟

- حسنًا، لقد نجح الأمر.

- لكن لماذا يسممنا؟

- أنت تطرح السؤال الخطأ.

- و ما هو السؤال الصحيح؟

- لماذا نسمح لأنفسنا بأن نتعرض للتسمم؟

كان باولو آخر من وصل إلى مأدبة العشاء التي سيتعرض فيها للتسمم، أكد لوسيديو أن طبق هذه الأمسية سيكون حساء لحم العجل، وهو طبق باولو المفضَّل. وصل الرجل المحكوم عليه بالموت وهو يلف قطعة قماش حمراء كبيرة على كتفيه، مثل العباءة. بحث

عن شيء من حياته السابقة كناشطٍ سياسي ليجلبه معه وهو يضحي بحياته، ولم يجد شيئًا، باستثناء بعض الكتب المتعفنة. ارتجل علمًا أحمر، وارتداه على كتفيه طوال المساء، حيث كان الشخص الوحيد الذي تحدث. سرد تاريخ التزامه السياسي منذ كان طالبًا، مرورًا بفترة عمله كنائب في مجلس المدينة، والفترة التي قضاها مختبئًا، والمظاهرات، والمهام السرية لصالح الحزب، والسجن، وانتخابه نائبًا. كما تحدث أيضًا عن خيانته، نعم، كان ذلك صحيحًا، لقد خان زملاءه، وسلّمهم. بينما كنّا نعيش حياتنا المتواضعة التي تفتقر تمامًا إلى العظمة، ولم نختبر حتى مدى فداحة فعل شائن عظيم، أو شعور رهيب بالذنب، وقف هو أمام المتاريس وتمرغ في الوحل. كان القاسم المشترك بيننا هو جوعنا وفشلنا، لكنه لامس الذرا، وكان أفضل منّا، أفضل منّا جميعًا، بما في ذلك أولئك الذين ماتوا. وفي أثناء حديثه، انشغل بالتهام المقبلات، ثم فطيرة بصل، ثم تناول عدة حصص من لحم العجل، مصحوبة بنبيذٍ أبيض جاف استخرجه بيدرو من قبو منزله من أجل مأدبة العشاء الأخيرة لمعاونه. وعندما أحضر لوسيديو الوعاء الذي يحتوي على ما تبقّى من حساء لحم العجل، لم يكن في حاجة إلى أن يسأل من يريد المزيد. انتزع باولو الوعاء الساخن من بين يديه، وشرب الصلصة البيضاء بصخبٍ من الإناء مباشرة، ثم وضعه على الطاولة وأكل اللحم بيديه مصدرًا شخيرًا، تمامًا كما لو كان يأكل يخنة لحم بقر ألبيري. وبينما كان الآخرون يتناولون الحلوى، جلس باولو منحنيًا في مقعده، صامتًا أخيرًا، وقد تدلى رأسه، وعيناه مثبتتان على مفرش الطاولة، لم يرفع نظره، ولا حتى عندما اقترح لوسيديو، لدهشة الجميع، إلقاء نخب، نخب راموس، عند تناول الكونياك.

احتج صامويل قائلًا:

- لا يمكنك ذلك؛ أنت لست عضوًا في النادي.

لكننا أقنعناه، أنا وبيدرو وتياجو، بالسماح للوسيديو بالتحدث، ففي النهاية، لم يعد للنادي وجود تقريبًا.

رفع لوسيديو كأسه من الكونياك، كانت هذه هي المرة الأولى التي يقبل فيها تناول الكونياك، كما كانت المرة الأولى التي لا يبقى فيها واقفًا بجانب الطاولة، مكتفيًا بمجرد الرد على الأسئلة حول الطعام الذي قدمه. أحبط أي آمال راودتني في أنه سيصبح راويًا جيدًا، وأن لديه قصصًا أخرى ليحكيها، مثل تلك التي تدور حول نادي الفوجو. تصرف مثل طاهٍ يشعر بالامتنان لأن يعامله أسياده على قدم المساواة ويدعونه إلى الجلوس إلى الطاولة، لكنه مع ذلك يعرف مكانته ويحافظ على الاحترام الواجب، كان على وشك التحدث الآن. رفع كأسه من الكونياك، ونظر إلى صامويل، وقال:

- سيتذوق كل الأصدقاء جزاء فضيلتهم، وسيجرع الأعداء ما يستحقونه من كأس.

رفع صامويل كأسه إلى لوسيديو، وقال:

- كل ما اتهمتني به، فقد ارتكبته حقًّا، بل وما هو أكثر منه بكثيرٍ، مما ستكشفه الأيام، لكن كل ذلك مضى الآن، وانتهى كما انتهى أمري أنا، لكن من تكون أنت، يا من قُدِّر له الغلبة عليَّ؟

فقال لوسيديو:

- أنا رجل ذاق الظلم أكثر ممَّا ظلم.

استعاد باولو نشاطه فجأة، وقال:

- لا أفهم كلمة واحدة.

كان هذا آخر شيء تفوّه به.

قال صامويل:

- لا شيء نتاجه لا شيء!

وتجرّع هو ولوسيديو الكونياك دفعة واحدة، في نفس الوقت.

اتفقنا على أن ينظم تياجو مأدبة العشاء التالية، ولكن بنفس الشكل، في شقتي، مع وجود لوسيديو في المطبخ. بدأ تياجو يقول: "ومن الذي سيتس..."، لكنه أوقف نفسه في الوقت المناسب. استبدل لوسيديو سترة أنيقة بمئزره، وودّع الجميع بشكل رسمي باستثناء صامويل، ثم رحل. غادر تياجو بعد ذلك مباشرة، أوصل بيدرو باولو إلى منزله، وقبل رحيله، احتضنني باولو طويلًا، لكن صامويل رفض معانقته وقال: "اخرج من هنا، أيها الوغد". استلقى صامويل على إحدى الأرائك في غرفة المعيشة، وسأل إذا كان يستطيع النوم هناك تلك الليلة، فقلت إن في وسعه ذلك، دفن ذقنه في صدره، وأخذ يحدق بثباتٍ إلى أحد جدراني العارية، قلت:

- كان لوسيديو على دراية أن راموس مات بسبب الإيدز، كيف عرف ذلك؟

- لقد أخبره أحدهم.

- لقد التقيت أنت ولوسيديو من قبل.

لم يرد.

- لماذا لم تقل شيئًا في المرة الأولى التي رأيته فيها هنا؟

استغرق بعض الوقت قبل أن يرد، ثم أغمض عينيه، وتنهد قائلًا:

- أردت أن أرى إلى أي حدٍّ سوف يتمادى.

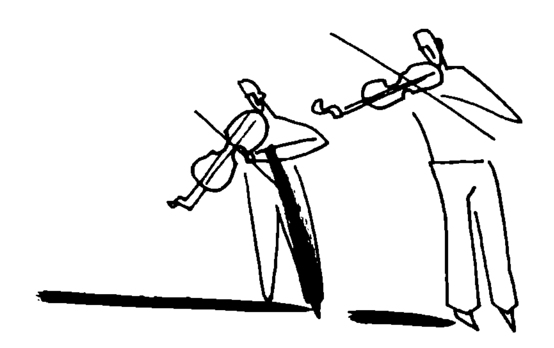
- لماذا؟

لكـن صامويـل أخـذ يلـوح لي بالفعـل كي أبتعـد، مشـيرًا إلى أنـه لـن يقـول شـيئًا أكـثر في تلـك الليلـة.



8

فتى الشوكولاتة - المحقق



بعد وفاة والده، طلب بيدرو من والدته أن تأتي لتعيش معه هو وزوجته الثالثة. سرعان ما تولَّت دونا نينا إدارة المنزل، وانتهى بها الأمر بالتخلُّص من زوجة ابنها، وإن لم يكن ذلك قبل اتهامها باقتراف جرائم مختلفة ضد النظافة والمنزل والزوج . كنَّا مقتنعين بأن دونا نينا ما زالت تحمِّم بيدرو يوميًّا وتخبره بما يرتديه، ولكن في يوم جنازة باولو، بدا من الواضح أن دونا نينا قد فشلت في أداء واجبها.

أتى بيدرو لحضور السهر عند الجثمان في شهر يوليو من دون ربطة عنق، ومن دون حلاقة ذقنه. شعرت أننا تعرضنا للتجاهل عن عمدٍ، وأن السبب الوحيد لعدم طردنا هو كونهم اعتبرونا غير جديرين بالضجة التي قد يتسبب فيها ذلك. وقفت أنا وبيدرو وتياجو في زاوية بعيدًا عن التابوت، وظل الآخرون يوجهون إلينا نظرات انتقاد وعدم تصديق. لم يساعد في شيء مظهر بيدرو السيئ، ناهيك بالجوارب الصوفية التي ارتديتها مع صندلي، وحقيقة أنني أيضًا لم أحلق ذقني منذ تلقي نبأ وفاة باولو في ذلك الصباح. لم يأتِ صامويل لحضور السهر عند الجثمان. عندما استيقظت لفتح الباب لقوات التنظيف التابعة لزوجة والدي، كان قد غادر بالفعل. وصلت ليفيا إلى شقتي مع عمال النظافة، قائلة: "لا يمكنني تصديق ذلك فحسب، يا زي، لا يمكنني تصديق ذلك فحسب، لقد أقمتم مأدبة عشاء أخرى في الواقع، لا يمكنني تصديق ذلك فحسب، من سيموت في المرة القادمة؟". ألم أقسم إنه لن يكون هناك المزيد من مآدب العشاء؟ لا، لم أفعل، أنا... ثم رنَّ جرس الهاتف وبلغني نبأ وفاة باولو. تمدَّد ملفوفًا بالعلم الأحمر، كما فعل شيئًا غريبًا آخر: علق حول عنقه الحذاء الرياضي الذي كان يرتديه في أثناء لعب كرة القدم المصغرة، على الرغم من أنه لم يلعبها منذ أن كان صبيًّا، وهكذا مات، عندما علم بأمر الحذاء الرياضي، قال بيدرو: "أتساءل عن ماذا عليَّ أن أفعل؟".

- ماذا تقصد؟

- سأفعل شيئًا مشابهًا، سأناقش الأمر مع مارا.

- ما الذي تتحدث عنه، يا بيدرو؟

- مارا ستعرف ما يجب أن أفعله، وكيف يجب أن أموت.

بدت عيناه محتقنتين بالدماء، ووجهه منتفخًا وشعره أشعث. لأول مرة منذ أن التقيت به عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، رأيت

بيـدرو فاقـدًا السـيطرة عـلى مظهـره: بيـدرو وهـو يكتشـف كيـف سـيكون العـالم مـن دون دونـا نينـا.

قال بيدرو:

- سأكون التالي، كما تعلم.

وبدا فخورًا تقريبًا.

لم تحـضر مـارا السـهر بجـوار الجثـمان في شـهر يوليـو، لكـن السـيد سـبيكتور كان هنـاك، لـوَّح لي مـن بعيـدٍ وقـال، مـن خـلال الإيمـاءات وتعبـيرات الوجـه، أن عملنـا يمكنـه الانتظـار، وأن اللحظـة الحاليـة غـير مناسـبة، وأنـه سـيبحث عنـي لاحقًـا، لاحقًـا. كانـت جيزيـلا هنـاك، وجاءت لتخبرنـا أنهـا بـدأت التحقيـق في وفـاة أبيـل بعـد كل هـذه الوفيـات المشـبوهة. سـتأمر باسـتخراج الجثـة، ومـن الأفضـل أن نجهـز أنفسـنا لأنهـا سـتثير ضجـة كبـيرة. تذكـرت مـا قالـه رامـوس ذات مـرة، في أثنـاء تنـاول الكونيـاك، عـن النسـاء اللـواتي تتحديـن الرجـال. تنحـدر جميـع النسـاء مـن سـلالتين مختلفتـين: اليهودية-المسـيحية، والإغريقيـة، أولئـك اللـواتي مـن السـلالة اليهودية-المسـيحية ينحـدرن مـن حـواء، التـي خلقهـا الـرب مـن ضلـع آدم لخدمـة الرجـل وإغوائـه ومرافقتـه في سـقوطه ودمـاره، أمـا أولئـك اللـواتي ينتمـين إلى السـلالة الإغريقيـة، فينحـدرن مـن أثينـا، التـي انتزعهـا زيـوس مـن دماغـه، ولم تفـوِّت هـؤلاء النسـاء أبـدًا فرصـة لتذكـير الرجـال بأنهـن انبثقـن مـن رأس إلـه، ولا علاقـة لهـن بأعضـاء الرجـال أو خطاياهـم المميتـة، تنتمـي جيزيـلا إلى تلـك المجموعـة الأخـيرة.

لم تحـضر ليفيـا أيضًـا السـهر عنـد الجثـمان، بـل كانـت تنتظـرني في شـقتي بعـد الجنـازة، وقـد جنـدت شـخصية غـير متوقعـة لمحاولـة إجبـاري عـلى مواجهـة جنـوني وإعـادتي إلى صـوابي، وهـو شـخص نـادرًا مـا أراه: والـدي، تـولَّى هـو إجـراء معظـم الحديـث خـلال هـذا الاجتـماع بقصـد إنقـاذي مـن نفسـي، عـلى خلفيـة عبـارة ليفيـا المتكـررة: "لا أصـدق ذلـك،

لا أصدق ذلك"، مع التنويع فقط في التأكيد على نطق كلمة "لا"، أو كلمة "أصدق". حاول والدي بذل قصارى جهده للفهم، هل أعرف ما يقوله الناس عنا؟ لقد أصابنا الجنون، وانخرطنا في نوع من الروليت الروسي للذواقة، وبات القائمون على دفن الموتى يسارعون إلى طرق بابنا في كل مرة نجتمع فيها معًا؛ لا بد أن يتوقف هذا الأمر. كنَّا محظوظين فحسب لكون الشرطة لم تفتح تحقيقًا حتى الآن، ولعدم إقامة محاكمة أو فضيحة في الصحف، يجب وضع حدٍّ لهذا الأمر!

حينها قلت شيئًا أدهشني أنا نفسي، قلت:

- سيكون التوقف الآن غير منصفٍ بالنسبة إلى أولئك الذين ماتوا.

- ماذا؟

قالت ليفيا:

- لا أصدق ذلك، لا أصدق ذلك، لا أصدق ذلك.

فقد والدي صبره معي. يحدث هذا عادة بعد أن نتبادل الحديث لمدة عشر دقائق تقريبًا. في ذلك اليوم، استغرق الأمر وقتًا أطول بعض الشيء، أمرني بإحكام السيطرة على نفسي. هل كنت لا أزال أمارس الكتابة؟ هل أريد نشر كتاب؟ قالت ليفيا إن لديَّ موهبة، وسوف يدفع مقابل نشر الكتاب. ربما أرغب في السفر في رحلة إلى الخارج؟ أي شيء يجعلني أوقف هذا الجنون. بذلت جهدًا فائقًا، ولم أقل شيئًا. أخيراً، نفد صبره، إذا أردت الاستمرار في هذا السلوك المجنون، فلا بأس بذلك، لكنني لن أفعل ذلك بأمواله. إذا كنت أرغب في الانتحار، فعليَّ إذن أن أمضي قدمًا وأقتل نفسي، لكنه لن يمول الأمر. كما لم يعُد في وسعي الاعتماد على أي مساعدة أخرى من زوجة والدي لتنظيف الفوضى بعد إحدى حفلات العربدة الرهيبة التي نقيمها.

رحل والدي، وبقيت ليفيا.

- لا أصدق ذلك، لا أصدق ذلك، لا أصدق ذلك.

- أنت لا تفهمين.



- لا، أنا لا أفهم، يا زي.

- الأمر له علاقة بالمجموعة، كل هذا، إنه...

ماذا كان الأمر؟ لم أستطع أن أشرح شيئًا لا أفهمه بنفسي، قالت ليفيا:

- أوه، لا تحادثني عن المجموعة، إنهم مجموعة من الفشلة عديمي الجدوى، الذين لم يفعلوا شيئًا على الإطلاق سوى الإفراط في الأكل بشراهة وإفساد حياة الآخرين. فلتخبرني لو أن أحدهم فعل شيئًا ذا جدوى. حاول ماركوس المسكين أن يفعل، لكنكم أعقتموه. دفع بيدرو شركة العائلة إلى حافة الإفلاس، وكان جواو محتالًا بارعًا، وباولو لا يطاق بكل بساطة... أما صامويل، فهو مريض ومجنون، يجب أن يوضع في الحبس، أنا متأكدة أن كل هذا فكرته هو، أنا على يقين من ذلك. أتساءل عمَّ إذا كان لوسيديو المزعوم هذا له وجود بالفعل حتى، أراهن أنه مجرد شخص اختلقه صامويل.

- لا، يا ليفيا، أنت لا تعرفين ما كنَّا عليه من قبل... قبل كل هذا.

- أوه، لا تبدأ بالتحدث معي عن راموس، من فضلك؛ تبعًا لما قلته لي، فقد كان أكثركم جنونًا.

لم تكن ليفيا تعرفنا من قبل، ولم يكن في وسعها الفهم، إذ لم تكن قد شاركت في الطقوس. بعد وفاة راموس، بدأت النساء في حضور مآدب العشاء، وكل ما سمعن عنه هو راموس، وعن خطبه في أثناء تناول الكونياك، وعن الجولة التي لا تُنسى التي اصطحبنا فيها إلى برغونية، وعن ذلك الوقت الذي... في النهاية، احتجَّت زوجة بيدرو

الأخيرة قائلة: "تبدون مثل الحواريين الذين يتحدثون عن المسيح! هلَّا توقفتم عن الحديث عن ذاك الرجل، راموس!".

في نفس اليوم، عقب رحيل ليفيا، بعد أن انتزعت مني وعدًا بأنني سأتوقف عن عقد مآدب العشاء، وسأخضع لبعض العلاج النفسي وأتناول الألياف، الكثير من الألياف، وكل ذلك تحت إشرافها، أتى تياجو إلى الشقة، أم هل كان ذلك في يوم آخر؟ لا، كان في نفس اليوم، أنا لست دقيقًا جدًّا في كتابة هذا، وقد أمضيت بضع ساعات الآن وأنا أتناول كأسًا تلو الأخرى من النبيذ، ولا أستطيع أن أتذكر كل شيء، لكنني أقسم إن هذا هو ما حدث، بطريقة أو بأخرى. جاء تياجو إلى الشقة وأخبرني أنه تبع لوسيديو إلى منزله، بعد مأدبة عشاء بيدرو، وهو يتوخى الحرص بالطبع؛ فنحن لا نرغب في فعل أي شيء قد يخيف طاهينا البارع، أو يوحي بأن الوفيات قد يكون لها علاقة به، أو إظهار أي اهتمام بحياته يتجاوز ما يسمح به سلوكه الرسمي، لكن هل أعلم أين يعيش لوسيديو؟

- أين؟

- في شقة راموس.

- ماذا تقصد؟

- في نفس المبنى، ونفس الشقة، رأيت اسمه مكتوبًا في الخارج.

قرَّر تياجو، القارئ العريق للروايات البوليسية، التحقيق في وفاة زملائنا من أعضاء النادي، لم يفاجئني أن شخصًا مهووسًا مثل تياجو كان يعرف الكثير إلى هذا الحد بالفعل. هل كنت أعرف، على سبيل المثال، أن جواو كان مصابًا بالسرطان، وأن حتى عائلته لم تكن تعلم ذلك؟ كان تياجو هو الأشد هوسًا من بيننا جميعًا، لم يكن مجرد مدمن للشوكولاتة نفسها، بل كان يعرف كل شيء عن الشوكولاتة وتاريخها وتركيبها والتفسيرات الكيميائية المحتملة لإدمانه لها. كان

عضوًا في جمعية دولية لمدمني الشوكولاتة، يتبادل أعضاؤها المعلومات حول شغفهم المشترك. وفي إحدى رحلاتنا إلى أوروبا، ترك المجموعة للقاء شخص يراسله يعيش في بروكسل، وعاد في حالة من التعجب. دُعي إلى قضاء الليلة في منزل الرجل، ولم يكن هناك صندوق بجانب الفراش مليء بالشوكولاتة فحسب، بل كان الصندوق نفسه مصنوعًا من الشوكولاتة، في حال ما إذا حدث نقص في المخزون، واستيقظ المرء في منتصف الليل وهو يشتهي الشوكولاتة. أما تلك المناسبة التي عرضت فيها ميلين، التي قدمت لجميع أعضاء المجموعة الآخرين تجربتهم الجنسية الأولى، عرضت نفسها على تياجو مقابل قطعة من الشوكولاتة، فقد ظلَّت فترة طويلة جزءًا من فولكلور المجموعة، لأن تياجو اختار الحفاظ على كل من عذريته والشوكولاتة. بعد سنوات، ضحى بعقد عملٍ كبيرٍ من أجل حضور مهرجان الشوكولاتة في سويسرا، ولم تتعاف سمعته كمهندس معماري منذ ذلك الحين، لكنه كان مهووسًا بكل شيء. كان لديه في منزله غرفة واحدة مخصصة بالكامل لرواياته البوليسية، التي كانت تملأ أرفف الكتب التي تغطي الجدران، وتتراكم على الأرض وعلى الطاولات. قال راموس ذات مرة: "الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يريد دائمًا أكثر مما يحتاج إليه. الإنسان إنسان، لأنه يرغب في المزيد". كان فتى الشوكولاتة يرغب في كل شيء، ويريد معرفة كل شيء؛ كان شرِهًا حتى في فضوله. أخبرني أنه بحث في قصة السمكة السامة، كانت هناك مدينة تسمى كوشيموتو في اليابان، وسمكة تسمى فوجو يمكنها التسبُّب في الموت إذا لم يتم إعدادها بشكلٍ صحيحٍ، ولكن لم يكن هناك جمعية سرية لمتذوقي الفوجو، ما لم تكن بالطبع فائقة السرية بدرجة بالغة. لم يتمكن من العثور على قشرة السمكة المغلَّفة بالبلاستيك في أي متجر يبيع المشغولات اليابانية، لكنه وصفها وقيل له إنها ربما تكون قشرة من سمكة خنثى، وإن القشرة غالبًا ما يحملها المثليون جنسيًّا، نوعًا

مـا كـما يحمـل تياجـو حبـة كاكاو في سلسـلة مفاتيحـه لتعريـف نفسـه بوصفـه مدمـن شـوكولاتة لمدمنـي الشـوكولاتة الآخريـن. حـذَّرني تياجـو قائـلًا إن هـذا بافـتراض أن الرجـل اليابـاني في المتجـر لم يكـن يختلـق هـذا الأمـر فحسـب.

ذهبنـا أنـا وفتـى الشـوكولاتة إلى المبنـى، الـذي كان قريبًـا مـن شـقتي بمـا يكفـي للذهـاب إلى هنـاك سـيرًا عـلى الأقـدام. أخـذ الظـلام يحـل، وكان الجـو بـاردًا. وحـده الفضـول الـذي أثـاره تياجـو داخـلي كان في وسـعه اسـتدراجي مـن عـش السـنجاب خاصتـي، الـذي لم أكـن أغـادره في الآونـة الأخـيرة إلا لـشراء النبيـذ مـن المركـز التجـاري، وحضور السـهر عنـد الجثمان في كل شـهر. كان اسـم لوسـيديو هنـاك باعتبـاره السـاكن في الشـقة رقـم 617، شـقة رامـوس القديمـة. رمقنـا حـارس البـاب بارتيـابٍ، ويرجـع ذلـك إلى حـدٍّ كبـيرٍ إلى صنـدلي وجـواربي، لكنـه استسـلم لأسـئلة تياجـو المُلحَّـة بشـكلٍ ودي وبـدأ في الحديـث. كان الشـاب السـاكن في الشـقة رقـم 617 قـد انتقـل إلى الإقامـة في المبنـى مؤخـرًا، منـذ عـام تقريبًـا. يبـدو أنـه ورث الشـقة مـن رامـوس، كـما يبـدو أنـه عـاش في باريـس قبـل ذلـك. وصفـت صامويـل -الـذي كان أمـرًا سـهلًا بمـا فيـه الكفايـة، إذ كان عـليَّ أن أصـف جمجمـة فحسـب- وسـألت حـارس البـاب إذا كان قـد رآه يدخـل ويخـرج مـن المبنـى، قـال: "هـل تقصـد السـيد صامويـل؟ بالطبـع، كثـيرًا مـا كان يـأتي إلى هنـا عندمـا كان السـيد رامـوس عـلى قيـد الحيـاة، ولكنـه لم يعُـد يـأتي الآن". كان السـيد لوسـيديو رجـلًا متحفظًـا للغايـة، ودائمًـا مـا كان فائـق التهذيـب، ولكنـه متحفـظ جـدًّا. لم يكـن يخـرج كثـيرًا، كـما أنـه لا يستقبل ضيوفًـا عـلى الإطـلاق، لا، لم يكـن لديـه أي عائلـة عـلى مـا يبـدو. كان موجـودًا في المنـزل الآن عـلى الأرجـح، هـل نريـده أن يبلـغ السـيد لوسـيديو بوجودنـا؟ لا، شـكرًا. طلبنـا منـه ألا يخـبر لوسـيديو أننـا كنَّـا هنـاك، تحـت أي ظـرف مـن الظـروف، ثـم رحلنـا مسرعـين؛ كان آخـر شيء نريـده هـو أن يظـن لوسـيديو أننـا نتجسـس عـلى حياتـه.

بعد أيامٍ، تلقيت مكالمة هاتفية من مارا، فلتهدأ، يا قلبي، كانت قلقة بشأن بيدرو، إذ إنه اتصل بها هاتفيًّا لأول مرة منذ سنوات عديدة، لأنه أراد أن يخطط أمر السهر عند جثمانه، واعتقد أنها ستتمكن من المساعدة.

- يخطط للسهر عند جثمانه؟

- يقول إن هذا امتياز، ويزعم أن معرفة يوم وطريقة موتك والقدرة على التخطيط لنهايتك تعطي معنى لحياتك. إنه يريد إعداد كل شيء، ويريدني أن أساعده على ترتيب أمر السهر عند الجثمان. قال إنني أنا الوحيدة التي أتذكر أشياء معينة عن حياته، نسيها هو حتى، لقد جُنَّ تمامًا، إلى درجة أنه أراد إحضار مجموعة من عازفي الكمان الذين عزفوا بجوار طاولتنا في باريس، في شهر العسل، منذ أكثر من عشرين عامًا، كي يعزفوا في أثناء السهر عند الجثمان. كانوا شيوخًا متقدمين في السن حينها، وعلى الأرجح ماتوا جميعًا الآن؛ الأمر في قمة الجنون. ما الذي ورطتم أنفسكم فيه، يا دانيال؟

- هل تعلم دونا نينا بهذا؟

- لقد فقدت دونا نينا عقلها تمامًا منذ سنوات، فهي تقضي اليوم بأكمله في تنظيف وتعقيم الحمامات في شقة بيدرو، وهي الآن تبحث عن آلة الريكوردر.

- أي ريكوردر؟

- آلة الريكوردر التي كان بيدرو يعزفها وهو صبي، لا يستطيع العثور عليها، وهي تبحث عنها في كل مكان الآن، من دون أدنى فكرة عن السبب وراء ذلك، لكنها تنظف وتعقم كل شيء تقابله في طريقها.

- ما الذي يريده من آلة الريكوردر؟

- الرب وحده يعلم، إنه يريد الموت وهي معه، قال إن باولو مات وحول رقبته زوج من الأحذية الرياضية، لا أعرف ما يدور في ذهنه، عليك أن تضع حدًّا لهذا، يا دانيال!

صوت مارا في أذني، لم يسبق وأن سمعت صوتها قريبًا من أذني إلى هذا الحد من قبل. صوت امرأة أحلامنا: كان رائعًا، حتى عند الغضب، حتى عند إعادة ما ظل الآخرون يقولونه لنا مرارًا وتكرارًا، وهو أننا يجب أن نضع حدًّا لهذا الجنون، لكنه لم يكن جنونًا، أعرف الآن أنه لم يكن كذلك، لم أستطع قول هذا لمارا، لكنني كنت أفهم بيدرو. في انتظار الموت، يصبح كل شيء محددًا، ويصير لكل شيء طقوس، حتى قدوم عازفي الكمان من باريس للعزف خلال السهر عند جثمانه لم يبدُ لي فكرة سيئة إلى هذا الحد. في انتظار الموت، تتجاوز الشعور بسخافة الأشياء، ويصير كل ما تريده هو العثور على المعنى.

رتَّب فتى الشوكولاتة ولوسيديو أمر اللقاء في شقتي، من أجل التخطيط لمأدبة عشاء شهر أغسطس. وصل تياجو أولًا، وكان يحمل أخبارًا، كانت جيزيلا تناقش مع محاميها إمكانية توجيه اتهامات ضدي شخصيًا، بصفتي مالك المطبخ القاتل، لأنه على الرغم من أن نادي يخنة لحم البقر كان لديه قوانين وشعار، وأسَّسه راموس، فإنه لم يكن كيانًا قانونيًا. كما بدأت تحقيقات تياجو في الكشف عن أشياء كنَّا نعرفها بالفعل أو نشك فيها على نحو غامض، ولكننا فضَّلنا عدم استكشافها.

أشرف راموس على تنشئة صامويل منذ أن كان صبيًا، دفع راموس تكاليف تعليمه، وعاش معه صامويل حتى سن معينة، عندما التقينا بصامويل في حانة ألبيري، كان لا يزال يعيش مع راموس.

بطلنا صامويل ذو الأربع بيضات: محتال وحكيم، شهواني نهم، وقديس هزيل، أكثر من أحبَّنا، وأشد من ازدرانا. الشخص الذي أقنعنا أننا سنمتلك العالم كله، والذي يعاقبنا الآن على فشلنا في إخضاع العالم. لقد علَّمنا من خلال شهيتنا، وها هو الآن يقتلنا من خلالها بلطفٍ شديدٍ. لم نكن نعرف عنه شيئًا على الإطلاق، في الواقع، ربما لأننا فضَّلنا أن يظل لغزًا. كلما سأل أي شخص صامويل عن والديه، كان يقول إنهما ماتا بسبب الأنفلونزا الإسبانية. وإذا علق أحدهم بأن هذا مستحيل تمامًا، لأن وباء الأنفلونزا الإسبانية وصل إلى البرازيل في بداية القرن العشرين، كان يجيب: "حسنًا، ربما كانت الأنفلونزا الآسيوية، فلم أطلب منها جواز سفرها".

- إذن هو ولوسيديو كانا يعرف بعضهما بعضًا بالفعل؟

قال فتى الشوكولاتة:

- لا أدري، لا أعرف ما إذا كانت نظريتك صحيحة أم لا.

كانت نظريتي أن صامويل يقتلنا بمساعدة لوسيديو، كان صامويل يمارس القتل الرحيم بشكلٍ منهجي على أعضاء نادي يخنة لحم البقر، ويتخلَّص من الملائكة واحدًا تلو الآخر؛ يحررهم من رفقة أجسادهم المزعجة ومن سيرهم الذاتية التافهة، ويفصل بين زولميرا وزينايد بشكلٍ نهائي.

قال فتى الشوكولاتة:

- لا أدري.

- لا يعني هذا أن تحقيقاتك ستوصلنا إلى أي شيء، سنموت جميعًا على أي حالٍ.

ردَّ تياجو بسخطٍ:

- تحدَّث عن نفسك، فليس لديَّ أي نية للموت بعد.

فاجأني رد فعله، إذ افترضت أنه بما أنه ظل يساير الطقوس حتى الآن، فقد كان ذلك يعني أنه على استعدادٍ لقطع الطريق إلى نهايته. حتى إنني بدأت أفكر في مشهد موتي، ما أن أتناول حصتي المسمَّمة من فخذ الضأن. سيتضمن المشهد بكل تأكيدٍ مجموعتي من الكرات الورقية، ونبيذ سانت استيف، وربما صورة فوتوغرافية لمارا. نعم، يجب أن تكون فيرونيكا روبرتا جزءًا من اللوحة المجازية حيث سيجدونني ميتًا، وبجواري رسالة، أو أطروحة، أو ربما رواية عن الانتحار.

وصل لوسيديو بهيئته الرسمية الأنيقة كالمعتاد، قال إنه يفكر في صنع مجموعة مختارة من السوفليه لمأدبة عشاء تياجو، ثلاثة أنواع من السوفليه الواحد تلو الآخر، من دون طبق مقبلات، ولا شيء غير ذلك. قلت إن بيدرو يعشق السوفليه، فلم يقل لوسيديو شيئًا. بعد ترتيب تفاصيل العشاء، انتهز تياجو الفرصة لمحاولة جعل لوسيديو يتخلى عن تحفظه قليلًا، لمجرد إظهار الود فحسب، ولا شيء مما قد يزعجه. تلك اللقاءات لجمعية أخوية الفوجو في كوشيموتو، متى كانت تنعقد؟ أجاب لوسيديو قائلًا في نهاية العام.

مازحه تياجو، وقال:

- هل يعني هذا أنك قد لا تكون معنا العام المقبل؟

ظل لوسيديو جادًّا تمامًا، وقال:

- بحلول العام المقبل، لن يكون لديَّ أي شيء أفعله هنا.

فكرت أنه سيكون قد قتلنا جميعًا، وبمجرد أن ينتهيا من قتلنا جميعًا، ماذا سيفعل هو وصامويل؟ هل سيبدآن حياة جديدة معًا، بما أنهما كانا رفيقين في جماعة قشرة السمكة الخنثى؟ أم أن صامويل استعان بخدمات لوسيديو لإنجاز هذه المهمة فحسب؟ أم أن المهمة تضمنت قتل صامويل نفسه، الذي سيكون، حسب الترتيب الأبجدي، التالي الذي يموت بعد بيدرو؟ كان من الممكن تمامًا أن يكون

صامويـل قـد صمـم المشـهد بأكملـه مـن أجـل انتحـاره هـو. سـتموت بقيـة المجموعـة أولًا، قبـل أن ينتحـر، سـيقتل كل أولئـك الذين سـيتذكرونه، سـيقتل نفسـه وذكـراه: انتحـار كامـل. اشـتمل إعـداد بيـدرو ليصبـح مديـرًا تنفيذيًّـا مثاليًّـا عـلى دروس في تاريـخ الفـن والموسـيقى، وقبـل أن يهتـدي إلى الخـراب معنـا في حانـة ألبـيري، كان عازفًـا موهوبًـا لآلـة الريكـوردر. جلـب بيـدرو آلـة ريكـوردر معـه إلى مأدبـة عشـاء تياجـو، لم تكـن نفـس الآلـة التـي عزفهـا كصبـي، إذ فشـلت دونـا نينـا في العثـور عليهـا، لكنهـا آلة جديـدة اشـتراها قبـل يومـين، ثـم أمـضى هذيـن اليومـين في محاولـة إعـادة التعلـم. نعـم، سـيقدم حفـل عـزف منفـرد لآلـة الريكـوردر قبـل العشـاء، قبـل السـوفليه. كان عـزف الريكـوردر هـو آخـر شيء أدَّاه عـلى نحـوٍ جيـدٍ في حياتـه، كان قـد دمَّـر الـشركات التـي تركهـا لـه والـده، ودمَّـر زواجـه مـن مـارا، لكنـه كان يفتخـر بأمريـن: السـوفليه الـذي يصنعـه، وعزفـه لآلة الريكـوردر، أخـبرني بـكل هـذا عندمـا فتحـت لـه البـاب، وأمسـك بي مـن صـدر قميـصي. كان يرتـدي بذلـة، تغطَّـت سـترتها بجميـع أنـواع النياشـين الزائفـة: الشـارات الانتخابيـة، وشـارات فـرق كـرة القـدم، والميداليـات الممنوحـة لوالـده نظـير خدماتـه التـي قدمهـا في مجـال الصناعـة، حتـى إنـه علَّـق أغطيـة الزجاجـات عـلى ياقتـه، كـما تعطَّـر بكثافـة أكـثر مـن أي وقـتٍ مـضى.

- لمسـة مـلاك، كـما تعلـم، لمسـة مـلاك، هـذا هـو مـا كان مـدرس عـزف الريكـوردر يقولـه لي: "لديـك لمسـة كالمـلاك"، وكانـت تلـك هـي المـرة الأولى التـي أعـرف فيهـا آلـة الريكـوردر، مـا زلـت أتذكر ذلـك حتـى اليـوم.

حاولت تخليص قميصي من قبضته.

- ادخل، يا بيدرو.

لكنه لم يفلتني من يده.

- كان عليَّ التسلل كي أتمكَّن من الخروج، لم يرغبوا في حضوري، حتى أن مارا ربما تأتي لإنقاذي، نعم، مارا، لقد عادت يا دانيال، لقد عادت حبيبتي مارا.

- انظر، فلتدخل يا بيدرو.

- دانيال، أريدك أن تلقي خطابًا في جنازتي، اتفقنا؟ يجب أن تكون أنت من يلقي الخطاب، لقد رتَّبت كل شيء، مارا تعرف ما يتعين عليها القيام به، أريدك أن تكون هناك، يا دانيال!

- حسنًا، حسنًا، لكن دعنا ندخل الآن؛ لقد وصل الجميع.

كان في وسعي جمع المجموعة كلها في غرفة مكتبي الآن: صامويل، وتياجو، وبيدرو، وأنا. صار نادي يخنة لحم البقر مثل اللحم المفروم، صار عدد الأشخاص الذين يجب شرب نخبهم أكبر من عدد الأشخاص الذين يقدمون الأنخاب. لحسن الحظ، نسي بيدرو أمر آلة الريكوردر، ووفَّر علينا عناء الحفل، كان قد هدأ بعض الشيء، لكن عندما توجهنا إلى مائدة العشاء بعد أن نادانا لوسيديو، حرص على إلقاء بضع كلمات رسمية قبل الوجبة. قال إننا قد لا نعرف هذا، لكنه ظل يقدم المال فترة طويلة لباولو ولقضاياه، حتى إنه منح المال لمقاتلي حرب العصابات المسلحة. من المؤسف أن باولو لم يكن هنا لتأكيد ذلك، اعتاد باولو وصفه بالرجعي اللعين، لكن ذلك كان مجرد غطاء، كما كان هو الشخص الذي منح باولو وظيفة عندما فشل باولو في إعادة انتخابه.

قال بيدرو، كما لو أن الفكرة خطرت له للتوِّ:

- أتدرون، أعتقد أن شركاتنا انهارت بسبب كل الأموال التي قدمتها لقضايا اليسار.

كنّا نعلم جميعًا أن بيدرو كان مؤيدًا نشطًا للقمع الحكومي، ولم يوظف باولو إلا لأن شقيق باولو، وهو عضو في الشرطة السرية، طلب منه ذلك. لكن هذه كانت لحظة الحقيقة بالنسبة إلى بيدرو، فلماذا نفسدها بالحقيقة الواقعية؟ إن نادي يخنة لحم البقر يتولى العناية بأعضائه، فلننتقل إلى تناول السوفليه.

لم يكن لوسيديو في حاجة إلى أن يسأل عمّن يريد الكمية الصغيرة من السوفليه المتبقية في المطبخ، التي تكفي شخصًا واحدًا فقط. تناول بيدرو كل السوفليه تباعًا بحماسٍ متزايدٍ، صائحًا: "إنه أفضل مما أعده أنا حتى!"، ولم ينتظر طقوس عرض الحصة الأخيرة من الطعام، قال: "أريد المزيد، أريد المزيد!"، ثم أضاف: "الإنسان إنسان، لأنه يرغب في المزيد!". جلب لوسيديو الحصة الأخيرة، التي أتى عليها بيدرو في قضمة واحدة تقريبًا.

بعد تناول الكونياك، بينما كان بيدرو يستعيد أسعد ذكرياته، وخلص إلى أن أفضل لحظاته كانت تلك التي قضاها مع كلابه، حسنًا، كلابه أولًا، ثم مارا، نظر صامويل بثباتٍ إلى لوسيديو، وقال:

- عجيب أمر حاجة الإنسان! فهي تجعل أكثر الأشياء وضاعة تبدو ثمينة في أعيننا.

الفصل الثالث، المشهد الثاني.

لكن إذا كان صامويل ولوسيديو متواطئين في تلك المذبحة الشعائرية، فكيف يمكن للمرء أن يفسر نظرة الكراهية في عين صامويل؟

9

نادي الذباب



قال صامويل: "فيلوكتيتيس". مُنعنا من دخول الكنيسة حيث كان جسد بيدرو تحت حراسة شقيق باولو، الشرطي السري السابق، الذي أصبح الآن متقاعدًا مبتهجًا، ترجّانا أن نحترم حزن العائلة، ابتسم قائلًا: "أوه، لا، ليس أنتم"، من خلال الباب المفتوح للكنيسة، تمكنّا من رؤية دونا نينا بجانب التابوت المفتوح، وهي تطرد الذباب الوهمي بعيدًا عن جثمان ابنها، وتقوم بين الحين والآخر بتعديل خصلة شعر أو فرد ربطة عنق الرجل الميت. كنا أنا وصامويل وتياجو مثل فيلوكتيتيس،

المحارب الجريح الذي لم يكن أحد يريد وجوده بالقرب منه نظرًا إلى نتانة رائحة جرحه. كانت تفوح منّا رائحة الفناء، انتقلنا من كوننا غريبين إلى كوننا بشعين، وكنّا ننتمي في المنفى مع فيلوكتيتيس على جزيرته، بعيدًا عن الأشخاص العاديين. ثم دخلت مارا الكنيسة، من دون أن تلقي إلينا ولو بنظرة، لم تُحترم أيٌّ من رغبات بيدرو فيما يتعلق بالسهر عند جثمانه، وعارضت الأسرة كلها بشدة فكرة إلقائي خطابًا عند القبر، ولا سيما دونا نينا التي كانت تذكرني بوصفي صبيًّا صغيرًا قذرًا سيشكِّل قربه من التابوت خطرًا على الرجل الميت من دون شك، دانيال؟ بالتأكيد لا! في الليلة السابقة، عاد بيدرو متأخرًا من مأدبة العشاء، لكنه لم يدخل المنزل، بل توجَّه إلى وجار الكلاب عند طرف الحديقة. قرر الموت بصحبة كلابه، وعُثر عليه ميتًا وذراعاه حول كلب بوكسر يُدعى تشامبيون، بينما يلعقه آخر يُدعى جاكسون.

توجهنا أنا وصامويل وتياجو إلى المقبرة سيرًا على الأقدام، كان صامويل منحنيًا وتلفُّه الكآبة أكثر من المعتاد، حيث بدا أنه يتقدم في العمر عدة سنوات مع كل سهر عند جثمان. في الليلة السابقة، خلصنا إلى أننا في مأزق: كنّا في أوائل أغسطس، وقد توفي جميع أعضاء نادي يخنة لحم البقر الذين كان من المقرر أن يقيموا مآدب العشاء. حتى إن تياجو اقترح أن نعلن نهاية العام، وأن نادي يخنة لحم البقر قد اندثر، لكن صامويل وأنا لم نوافق على ذلك، كان بيدرو قد اعتبر نفسه ميتًا بالفعل، ورحل من دون أن يتذمَّر. لم يتفوَّه أحدٌ بذلك صراحة، لكن لم يبدُ من الصواب إنهاء الأمر على هذا النحو، أيًّا كانت طبيعة ذلك "الأمر"؛ لم يكن ذلك منصفًا بالنسبة إلى أولئك الذين ماتوا. حينها اقترح لوسيديو إقامة مأدبة عشاء خاصة به، سيعد الكريب: مأدبة عشاء تتألَّف بالكامل من الكريب، سيتحمَّل هو التكاليف، على سبيل الهبة أو الهدية، هكذا اتفقنا أن مأدبة عشاء شهر سبتمبر، التي ستقام في شقتي مرة أخرى، ستكون

تحية من لوسيديو إلى نادي يخنة لحم البقر، للأموات والناجين من أعضائه، وسيكون عشاءً بسيطًا من الكريب.

قال تياجو في المقبرة:

- إذا كانت الوفيات بالترتيب الأبجدي، فأنت التالي، يا صامويل.

قال صامويل:

- أنا لا أحب الكريب إلى هذا الحد.

قلت:

- ولا أنا.

قال تياجو:

- ولا أنا.

لن يطلب أي منّا المزيد من الكريب، ستكون هناك مأدبة عشاء في سبتمبر، لكن لن يطلب أحدٌ المزيد، مما يعني أن احتمال عقد سهر آخر عند جثمان في شهر سبتمبر سوف يتضاءل.

في وقتٍ متأخرٍ من بعد ظهيرة ذلك اليوم، بينما كان السهر عند جثمان بيدرو منعقدًا في الكنيسة، تجولنا في الممرات بين المقابر، صامويل وتياجو وأنا، الأيتام، ونحن نجرجر وراءنا صمتًا بات ثقله يتزايد أكثر وأكثر. عادة ما أجد أنه من المستحيل عدم التحدث، لكن حتى أنا لم أقل شيئًا، وبذل تياجو جهدًا حقيقيًا لعدم طرح جميع الأسئلة التي يتحرق إلى إلقائها على صامويل. التقط أنفاسه عدة مرات كي يشرع في الحديث، لكن الشجاعة خانته، في النهاية، كان صامويل هو من تحدث، بعد أن توقف عند تمثال ملاك يحمل سيفًا، يزين أحد المدافن.

وبينـما كنّـا نسـير عائديـن، بـدأ صامويـل الحديـث بنـبرة شـخص يتجـادل مـع نفسـه: "تتحـدث بعـض الثقافـات عـن جـلاد مقـدس، إنـه القاتـل الـضروري، الـذي يـؤدي دوره في طقـوس محتمـة، والـذي لا يكـون مفهومًـا دائمًـا، غالبًـا مـا يكـون منبـوذًا دائمًـا، ولا يحظـى بالفهـم سـوى لاحقًـا، عندمـا يصبـح أسـطورة. عـلى سـبيل المثـال، فـإن قابيـل الشريـر في الكتـاب المقـدس، يصبـح بمـرور الوقـت شـخصية محترمـة تمامًـا: قابيـل الأب، مؤسـس المـدن...".

ظننته يبني دفاعه الخاص عن نفسه، لذا انتهزت الفرصة وسألت:

- هل يختار هذا الجلاد المقدس دوره، أم يختاره شخصٌ آخر؟

- لا أحد يختاره، بل التاريخ هو الذي يختاره، وتختاره الضرورة.

- لكـن مـن يقـرر أن الطقـوس ضروريـة؟ في حالتنـا، عـلى سـبيل المثـال؟

- ماذا تقصد "في حالتنا"؟

كنّا قد توقفنا عن السير.

- أعني في حالتنا، يا صامويل.

لم يعـد تياجـو قـادرًا عـلى احتـواء نفسـه، كان فتـى الشـوكولاتة المهـووس في حاجـة إلى الحقائـق.

- أنـت ولوسـيديو يعـرف بعضكـما بعضًـا بالفعـل، أليـس كذلـك يـا صامويـل؟

لم يقل صامويل شيئًا، ثم أومأ برأسه وأضاف قائلًا:

- بدرجة طفيفة.

- إنه الجلاد المقدس، فماذا تكون أنت؟

كنت أنا صاحب السؤال، هزَّ رأسه بحزنٍ، ثم واصل السير مرة أخرى، فتبعناه، قال من دون أن يلتفت:

- أنت ببساطة لا تفهم.

***

وصلنا إلى الكنيسة مرة أخرى، بينما كان الموكب الجنائزي يغادر، سرنا خلف الموكب، وحافظنا على البقاء على مسافة بعيدة بما يليق بكوننا منبوذين. رأيت جيزيلا، التي أشاحت بنظرها، والسيد سبيكتور، الذي أرسل لي مرة أخرى رسائل بطريق الإشارة، فهمت من خلالها إنه يبلغني بزيارته الوشيكة. وقفنا على مبعدة بينما وُضِع جثمان بيدرو في مدفن العائلة، بجوار والده، من دون أن يصاحب ذلك إلقاء أي خطاب. لفَّت مارا ذراعيها حول دونا نينا، التي بدت هادئة تمامًا. بات ولدها بيدرو أخيراً بعيدًا عن أي عدوى، لم يبدأ صامويل، الذي وقف بجواري، في الحديث مرة أخرى، إلا عندما بدأ الحشد الصغير يتفرق.

- في حالتنا، أنا الشخص المحكوم عليه بالموت.

كنَّا قد توجهنا إلى السهر عند الجثمان بسيارة تياجو، لا أمتلك سيارة، ولم يُسمح لي بالقيادة قطُّ، فمنذ أن كنت طفلًا، أظهرت موهبة طبيعية في التسبب في وقوع الحوادث، إنها موهبتي الوحيدة الظاهرة للعيان، في طريق العودة من المقبرة، قال تياجو:

- أنا لا أعرف عنكم، لكن أعتقد أنه آن الأوان لوضع حدٍّ لهذه اللعبة الصغيرة.

لم نقل شيئًا أنا وصامويل، فواصل تياجو قائلًا:

- حسنًا إذن، سنقيم مأدبتنا الأخيرة، ونأكل الكريب، ثم نتوقف، اتفقنا؟

واصلنـا الصمـت، كان صامويـل جالسًـا في مقعـد الراكـب المجـاور لتياجـو، بينـما جلسـت أنـا في الخلـف.

- أعتقـد أن علينـا الإبـلاغ عـن لوسـيديو، قبـل أن يفعـل شـخص آخـر ذلـك، إن جيزيـلا تتخـذ الخطـوات اللازمـة للقيـام بذلـك، تقـول إنهـا سـوف تحقِّـق في وفـاة أبيـل، وأنهـا سـتوجِّه التهـم. سيعتقلون لوسـيديو في أي يـوم الآن، ونحـن معـه بوصفنـا، أوه، لا أدري، شركاء في الجريمـة عـلى مـا أظـن، كـما أن هنـاك شـيئًا آخـر...

قلت:

- "صبية عابثون".

أدار صامويل رأسه:

- ماذا؟

- "صبية عابثون"، ما هو مصدر ذلك الاقتباس؟

- الملك لير.

قال تياجو بغضبٍ:

- إنكما لا تنصتان إليَّ حتى، اللعنة!

هـا هـو الاقتبـاس الكامـل، اشـتريت نسـخة ورقيـة مـن الملـك لـير مـن المركـز التجـاري في اليـوم التـالي، إن لغتـي الإنجليزيـة أسـوأ حتـى مـن ذاكـرتي، ولم يكـن مـن السـهل تتبُّـع كل الاقتباسـات التـي سـمعتها مـن شـفاه لوسـيديو وصامويـل خـلال الأشـهر القليلـة الماضيـة، لكـن عبـارة "صبيـة عابثـون" موجـودة، في المشـهد الأول مـن الفصـل الرابـع. "نحـن البـشر في يـد الآلهـة كـما الذبـاب في أيـدي صبيـة عابثـين، يقتلوننـا عـلى سـبيل التسـلية". كان رامـوس قـد أخـبرني عـن "صبييـه العابثـين"، أحدهـما في البرازيـل والآخـر في باريـس. كان الموجـود في البرازيـل هـو صامويـل، وهـو "صبـي عابـث" بامتيـازٍ، أمـا الموجـود في باريـس، فـكان لوسـيديو. ربمـا

تحمَّل راموس تكاليف دورة الطهي التي درسها لوسيديو، وقد نقل إليهما على الأرجح ذوقه في كل من "شكسبير والصلصات"، ولا شك في أنه جعلهما يحفظان مسرحية الملك لير بأكملها عن ظهر قلب، ووفقًا لما رأيته، لم يكن هذا دليلًا على الحب تمامًا. في النسخة التي اشتريتها من المركز التجاري، تشغل الحواشي التي تشرح الكلمات التي يصعب فهمها جزءًا كبيراً من كل صفحة، حتى إن الشرح أطول من النص الفعلي. خلال الأشهر القليلة الماضية، كان لوسيديو وصامويل يتبارزان باستخدام اقتباسات من الملك لير. أيًّا ما كان الذي يجري، فقد كان شيئًا يخص لوسيديو وصامويل، لم يكن الأمر متعلقًا بنا، ولا بعقابنا أو فدائنا. كان صامويل قد قال: "أنا الشخص المحكوم عليه بالموت"، وكنَّا نحن مجرد ذباب، كنَّا نموت مثل الذباب.

نفَّذ والدي تهديده بقطع المصروف عني، فلم يدخل أي شيء حسابي المصرفي. لن تدعني ليفيا أموت جوعًا، لكنني في حاجة إلى إيجاد طريقة لكسب المال الكافي لشراء بعض المكسرات. لا أتقن فعل أي شيء، فكرت مرة في تأليف كتب طبخ متخصصة: دليل للوجبات المثيرة للشهوة الجنسية، وآخر للوجبات الحمراء بالكامل أو البيضاء أو بنية اللون، كتاب للوجبات الغريبة من جميع أنحاء العالم، مع مكونات مثل لحم الكلب، والقرد، والنمل، والجراد، مجموعة من الوجبات التي يتم إعدادها أو تناولها في مواقف غريبة، مثل البيض المقلي على الإسفلت، والبيتزا التي يبلغ قطرها ثلاث ياردات، والهلام الذي يتم لعقه من سرة شخصٍ ما. لن يكون هناك سوق لحكاياتي عن التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين، لا سيما وقد دخلتا الآن مرحلتهما الأخيرة مع الرعب القاتل، وزيناييد مضطرة إلى البقاء مستيقظة إلى الأبد، حتى لا تتعرَّض للعضِّ من قِبَل شقيقتها مصاصة الدماء، بينما تشتت انتباه زولميرا بسبب الأفكار اللامتناهية حول الحالة الإنسانية، وحول الشهية والهوس والموت. تعتقد ليفيا أنه بما أنني لم أكبر أبدًا،

يجب أن أكتب للأطفال، وقد حاولت التفكير في طرق لتكييف قصص التوأمتين الملتصقتين السحاقيتين لجعلها مناسبة للأطفال.

بدا تياجو في حالة مزاجية جيدة عندما وصل إلى شقتي لتناول عشاء الكريب، قال:

- لقد اتفقنا إذن، أن لا أحد سيتسمم الليلة، أليس كذلك؟

كان لوسيديو في المطبخ، غاص صامويل في أحد المقاعد الجلدية في غرفة مكتبي. بعد أن فتحت الباب لتياجو، عدت إلى المقعد المواجه لصامويل، الذي ظللت طوال الخمس عشرة دقيقة الماضية أراقب منه صمته المشؤوم. لم نعر اهتمامًا لتياجو، الذي مسح ابتسامته، وألقى بنفسه فوق مقعدٍ جلدي آخر، واستسلم للهدوء السائد. لم يكن صامويل قد تفوَّه بكلمة منذ وصوله، بعد خمس دقائق أخرى من الصمت، تحدثت قائلًا:

- إذن فأنت الشخص الذي على وشك الموت.

- هذا صحيح.

- على يد لوسيديو.

- هذا صحيح.

- لماذا؟

- على سبيل الانتقام.

جلسنا في انتظار أن يواصل صامويل الحديث، لكنه لم يكن على استعدادٍ لتسهيل استجوابنا له.

سأله تياجو:

- ما الذي يرغب لوسيديو في الانتقام من أجله؟

- موت راموس.

تبادلنا أنا وتياجو النظر، ثم جاء دوري للحديث:

- ما علاقتك بموت راموس؟

- كنت أنا الجلاد.

ظننتُ أنه يقصد الإيدز، كان صامويل عشيق راموس، وأحسَّ بالمسؤولية لمرض راموس، لكن تياجو فكر في الأمر بطريقة مختلفة، ولم يكن لديه وقتٌ للاستعارات، كان يفضِّل أن تكون قصصه البوليسية بسيطة ومباشرة.

- لقد مات راموس بسبب الإيدز.

- لا، بل تسمَّم، لقد سممته.

كنت لا أزال أعتقد أنه يتحدث مستخدمًا الاستعارات.

- تقصد أنك سممته بالفيروس.

- لا، لقد سممته بصلصة النعناع.

أتى لوسيديو إلى غرفة المكتب ليخبرنا أن هناك نوعين من الكافيار لتقديمهما مع أول طبق من الكريب: الأسود والأحمر، هل نحبهما، أم نفضِّل نوعًا معينًا؟ صوتنا بالإجماع لتناول كليهما، وعاد لوسيديو إلى المطبخ.

كان الجلاد المقدس هو صامويل إذن، إذ قتل راموس للتعجيل بموته، لم يكن يفكر في لوسيديو عندما ذكر الجلاد المقدس في المقبرة، كان هو القاتل المدفوع بحكم الضرورة، ولوسيديو هو المنتقم، بينما نحن الذباب.

- انتظر لحظة الآن، انتظر لحظة...

أحسَّ تياجو بالضياع التام، وطلب توضيحًا، واصل تياجو الحديث:

- لقد سمَّمتُ راموس، واكتشف لوسيديو الأمر...

قاطعته قائلًا:

- كيف اكتشف لوسيديو؟

- لقد أخبره راموس، كتب له رسالة من المستشفى، في يومه الأخير.

- هل كان راموس يعلم أنك سممته؟

- لقد طلب مني أن أسمِّمه.

- انتظر لحظة الآن، انتظر لحظة...

- لقد وضعت السم في صلصة النعناع في عشاء راموس الأخير لأنك تعلم أنه هو الوحيد الذي سيضع صلصة النعناع على لحم الضأن، لأنك أحببته وأردت تخفيف معاناته، ولأنه طلب منك ذلك.

جلس صامويل وعيناه مغمضتان، وهو يسند رأسه بأطراف أصابعه التي استقرت على صدغه، ثم فتح عينيه وحدق إلى وجهي وقتًا طويلًا قبل أن يتكلم.

- لقد أحببتكم جميعًا، يا دانيال.

أخذ تياجو يفقد صبره.

- انتظر لحظة الآن، لنعود إلى...

- ما الذي أردته منَّا بالضبط، يا صامويل؟ لا بد أنك عرفت منذ البداية أن أحدًا منَّا لن يصبح له شأن يذكر على الإطلاق، منذ تلك الأيام التي قضيناها في حانة ألبيري، كنت تعلم أن لا أحد من الموجودين هناك سيصير شخصًا ذا قيمة أبدًا، لقد أردت إنقاذنا، وجربت كل الرذائل من أجلنا، وقاتلت من أجلنا،

بـل وكـدت تقتـل نفسـك مـن أجلنـا، حتـى إنـك أقمـت علاقـة مـع مـارا مـن أجلنـا، ولم نعـرف قـطُّ مـا الـذي أردتـه منّـا.

ابتسم صامويل كاشفًا عن أسنانه المسودة، وقال:

- وها قد فات أوان ذلك الآن.

أراد تياجـو العـودة إلى الجـزء الـذي أثـار اهتمامـه مـن القصـة، إذا أراد لوسـيديو الانتقـام مـن صامويـل لقتلـه رامـوس، فلـماذا لم يسـمِّمه أولًا؟ لمـاذا قتـل الجميـع وتـرك صامويـل للنهايـة؟ أشـار صامويـل بكلتـا يديـه في اتجاهـي، وهـو لا يـزال يبتسـم، مشـيرًا إلى أنـه يمنحنـي الحـق في الـرد نيابـة عنـه، كان المـسرح ملـكًا لي.

- لأنهـما صبيـان عابثـان سـيئان، يـا تياجـو، لأن لوسـيديو أراد أن يثبـت لصامويـل أنـه يسـتطيع أن يكـون أقـسى منـه، ولأن أفضـل انتقـام يمكـن أن يقـوم بـه لوسـيديو لم يكـن قتـل صامويـل فحسـب، بـل قتـل كل مـن أحـب أولًا، كنّـا مجـرد ذبـاب.

أضـاف صامويـل قائـلًا، وهـو يشـير إلى لوسـيديو الـذي أتى للتـوِّ إلى غرفـة المكتـب ليعلـن أن العشـاء جاهـز:

- ولأنه وغدٌ تمامًا.

ثم أضاف وهو ينهض من المقعد:

- بأسوأ ما في الكلمة من معنى.

تناولنـا الفـودكا المثلجـة وألقينـا نخـب الجـوع، ورامـوس، وأبيـل، وجـواو، وماركـوس، وسـاولو، وباولـو، وبيـدرو. ظـل لوسـيديو واقفًـا بجانـب الطاولـة ونحـن نتنـاول أول طبـق مـن الكريـب مـع الكافيـار الأحمـر والأسـود، ولم يشـارك في الحديـث.

قال تياجو:

- وقد ظللت أنت صامتًا فحسب، وتركته يقتلنا واحدًا تلو الآخر..

قال صامويل وهو يعصر الليمون فوق الكافيار الأسود:

- أردت أن أرى إلى أي حدٍّ سيتمادى، فلتطلق على الأمر مسمى الفضول المرضي.

- لكن، لكن...

بدا تياجو ساخطًا للغاية، إلى درجة أنه نسي تقريبًا أمر الكافيار، من المؤكد أنه لن يختنق حتى الموت بسبب الكافيار.

سألته:

- وما الذي نفعله نحن هنا، يا تياجو؟ لماذا ندع أنفسنا نتعرَّض للتسمم؟ لم يرغب أحد في تفويت مأدبة واحدة من مآدب عشاء لوسيديو، بصرف النظر عن أولئك الذين ماتوا بالفعل، بالطبع.

- لقد أتيت من أجل الطعام، وليس من أجل السم.

- لكنك أتيت.

انتهى صامويل من تناول الكريب والكافيار، دومًا ما كان يأكل أسرع من بقيتنا، قال:

- لقد كنت تعرف منذ البداية أن هذا شكلٌ من أشكال الانتقام، وأن لوسيديو هو الجلاد، كل ما في الأمر هو أنكم جميعًا اعتقدتم أن الطقوس تتعلَّق بكم، وأن القصاص موجَّه إليكم، وأنكم مذنبون، مات الجميع مقتنعين بأنهم يستحقون الموت.

صحَّحت له قائلًا:

- باستثناء أندريه.

- من؟

- أندريه.

كنَّا قد أغفلنا أندريه عند إلقاء الأنخاب، أندريه، ضحية الصدفة، والطرف الوحيد البريء في كل هذه القضية برمتها.

قال تياجو:

- لكن على أي حال، انتهى الأمر الآن.

قال صامويل:

- لا، لم ينتهِ بعد.

- بل انتهى الأمر، انتهى، جيزيلا تتخذ إجراءات قانونية، وستوجه اتهامات، كما سأتخذ إجراءات أنا أيضًا، لقد انتهى هذا الجنون، الجلاد المقدس، والانتقام... محض هراء! هذا قتل، يا أصدقائي، بكل بساطة ووضوح.

نظر تياجو إلى لوسيديو، الذي كان يجمع الأطباق الفارغة، وشعر بأنه مضطر إلى أن يضيف قائلًا:

- ليس هناك شيء شخصي في الموضوع، كما تعرف.

بعد الطبق الأول من الكريب، ظهر المزيد من الكريب مع إضافات مختلفة، وضعها لوسيديو حول المائدة. أصرَّ تياجو على أن ينضم إلينا لوسيديو في الجلوس على المائدة، ليظهر فحسب إنه لا يكنُّ له أي ضغينة، ففي النهاية، وبغض النظر عن كل شيء آخر، كان لوسيديو طاهيًا رائعًا يستحق إعجابنا واحترامنا، ورأى تياجو بارتياحٍ أن لوسيديو أكل الطعام الذي أعدَّه بنفسه.

تناولنــا الكريــب بــلا شــهية، إذ لم يكــن أيٌّ منَّــا يحبــه عــلى وجــه الخصــوص، عــرض لوســيديو إعــداد المزيــد، لكننــا رفضنــا جميعًــا. بالنســبة إلى تياجــو، كان مــا يهــم هــو عــدم تــرك لوســيديو يبتعــد عــن نظرنــا ولــو ثانيــة، خاصــة في المطبــخ.

سأل لوسيديو تياجو:

- هل أنت متأكد أنك لا تريد المزيد؟

- لا، شكرًا.

- ماذا عن التحلية؟

تردد تياجو:

- - هل هي المزيد من الكريب؟

- لا، إنها ماركيز الشوكولاتة.

ازدرد تياجو ريقه بقوة.

- ماركيز الشوكولاتة؟

- هذا صحيح، لكن هناك مشكلة واحدة فحسب...

- ما هي؟

- هناك ما يكفي لفردٍ واحدٍ فقط. لم يكن لديَّ وقت، و...

رمانا فتى الشوكولاتة بنظرة من الحزن الغامر، ما الذي نفعله به؟

قلت:

- تناولها أنت، يا فتى.

قال صامويل:

- تناولها أنت، يا تياجو، لا أريدها.

صرخ تياجو:

- لكنني لا أريدها أنا أيضًا!

قال لوسيديو وهو يتوجه عائدًا إلى المطبخ:

- سآكلها أنا إذن.

- انتظر!

التفت لوسيديو، فسأله تياجو كيف أعد ماركيز الشوكولاتة، فأخبره لوسيديو بالتفصيل، وبينما كان لوسيديو يتحدث، بدا أن تياجو ينهار ببطء كشخصٍ يتصدع بالتصوير البطيء. عقب انتهاء لوسيديو من وصفه، ألقى تياجو بنفسه فوق الطاولة وقد تدلَّى ذراعاه بجواره، ورأسه مستند فوق المفرش، ظل في ذلك الوضع وهو يقول:

- سأتناولها.

وقف لوسيديو بجوار الطاولة، بينما فتى الشوكولاتة يلتهم ماركيز الشوكولاتة والدموع تنهمر على خديه.

- "هل تعرف الفرق بين البهلول المفعم بالمرارة، والبهلول اللطيف؟".

وجدت الاقتباس بالفعل، في المشهد الرابع من الفصل الأول.

نهض صامويل من مقعده، وتوجه إلى لوسيديو.

صامويل:

- علينا ترتيب أمر مأدبة شهر أكتوبر.

لوسيديو:

- في الخامس عشر من الشهر.

صامويل:

- هنا.

لوسيديو:

- سأتولى الطهي.

صامويل:

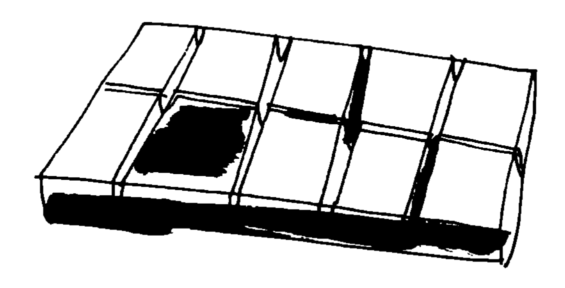
- طبقي المفضل هو يخنة لحم البقر مع فاروفا البيض والموز المقلي.

لوسيديو:

- طبقك المفضل هو الكاسوليه.

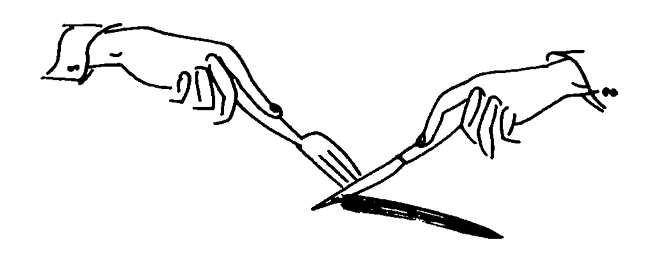
صامويل:

- لقد تغيَّرت.



10

زيارة السيد سبيكتور



"إن الكائنات المولعة بالليل لا تحب مثل هذه الليلة"، مسرحية الملك لير، يمكنك سؤالي أي شيء بشأنها الآن. "في مثل هذه الليلة...". كانت ليلة شكسبيرية عاصفة، تصطخب بالبرق والرعد الصناعيين، عندما التقى صامويل ولوسيديو في المشهد الأخير من قصتهما، في شقتي، في حجراتي الخالية. في جنازة فتى الشوكولاتة، التي شهدناها من بعيدٍ لأنهم لم يسمحوا لنا بالدخول إلى المقبرة، قال صامويل:

- بالطبع سأحضر مأدبة العشاء، أنا مدين بهذا للمجموعة.

- باسم المجموعة، أعفيك من هذا الدين.

- فات الأوان الآن.

"في مثل هذه الليلة...". انهمر المطر، وأخذت الريح تصفق النوافذ، وعندما دخل لوسيديو الغرفة الكبيرة حاملًا الصينية التي يعلوها يخنة لحم البقر وفاروفا البيض والموز المقلي، انطفأت الأنوار كلها. لفترة طويلة، لم يضيء المشهد سوى ومضات من البرق. تناولنا أنا وصامويل يخنة لحم البقر، وملأنا أفواهنا بيخنة لحم البقر، وفاروفا البيض، والموز المقلي، ونحن نصدر شخيرًا مثل الخنازير، بينما لوسيديو يقف بثباتٍ بجوار الطاولة بمئزره الأبيض الطويل، ومفرش الطاولة والجدران تتحوَّل إلى اللون الأزرق مع كل وميضٍ للبرق. تجرَّعنا الكوكا كولا مع الطعام، تمامًا كما اعتدنا أن نفعل في حانة ألبيري، وعندما عادت الأنوار مرة أخرى، كنَّا قد انتهينا من تناول الطعام، سأل لوسيديو صامويل عمَّ إذا كان يريد المزيد، فقال صامويل لا.

- لا؟

- انظر، لا تأخذ الأمر على محمل خاطئ، لكن يخنة لحم بقر ألبيري كانت أفضل بكثيرٍ، إن يخنة لحم البقر ليست موطن قوتك فحسب.

- هل أنت متأكد أنك لا تريد المزيد؟

استغرق صامويل بضع دقائق للرد. في الشارع بالخارج، كانت هناك عواصف وأعاصير، والريح تعوي.

قال صامويل:

- حسنًا، اجلب لي موزة مقلية أخرى.

إذا كان صامويل قد أعدَّ بعض الكلمات الأخيرة، فلم يتسن له الوقت الكافي للتفوُّه بها؛ مات بعد ثماني دقائق من تناول الموز، وهو يتلوَّى من الألم. كان الوحيد الذي رأيته يموت بالفعل، راقبت عذابه وهو يحتضر وأنا مشلول، أقبض بيدي على حافة الطاولة، عاجز

عـن إبعـاد نظـري عـن ذلـك الجسـد الـذي يتلـوّى متشـنجًا فـوق الأرض الخشـبية. شـفتني رؤيـة صامويـل وهـو يمـوت مـن أي فكـرة راودتنـي بـأن أدع نفـسي أتعـرَّض للتسـمم أنـا أيضًـا، وبـأن أدع الطقـوس تصـل إلى نهايتهـا المنطقيـة. انتهـت تلـك القصـة بالتحديـد، لا أدري لمـاذا نجـوت، ربمـا ببسـاطة كي أكـون الشـخص الناجـي الـذي يـروي الحكايـة. توقـف جسـد صامويـل المرتعـد أخـيرًا عـن التشـنج، كنـت عـلى وشـك النهـوض، عندمـا أوقفنـي لوسـيديو بإشـارة منـه، سـحب الجثـة نحـو إحـدى أرائـكي، ثـم بـدأ ينظـف الطاولـة، وقـال:

- اتصل بالإسعاف.

- إسعاف؟

- سيفترضون أنها كانت نوبة قلبية.

- لكن ماذا عن عائلته...

- ليس لديه أي عائلة، ليس لديه أي شخص.

- لكن الشك سيساورهم...

- لماذا؟

- ميتة أخرى إضافية.

- وماذا في ذلك؟

توجـه لوسـيديو عائـدًا إلى المطبـخ، جلسـت مـرة أخـرى مذهـولًا، ثـم قفـزت واقفًـا، الإسـعاف، الهاتـف، أيـن الهاتـف؟ كنـت في شـقتي، لكننـي لم أعـرف مـكان الهاتـف، لم أعـثر عليـه إلا عندمـا بـدأ يـرن، فتتبعـت الصـوت، كانـت ليفيـا، تريـد معرفـة مـا إذا كنـت قـد تناولـت الطعـام.

- نعم، لقد أكلت.

- ماذا؟

- ماذا تقصدين بـ"ماذا"؟

- ماذا أكلت، يا زي؟

- يخنة لحم البقر، وفاروفا، وموز.

أحسَّت ليفيا بالدهشة؛ لم يكن ذلك من بين الوجبات المجمَّدة التي ملأت بها الفريزر لديَّ لهذا الأسبوع، يخنة لحم البقر؟ فاروفا؟ موز؟

- أنا قادمة، يا زي؛ تبدو نبرة صوتك غريبة.

- لا تفعلي، لا يمكنك الخروج في هذه العاصفة.

- أي عاصفة؟

نظرت من النافذة، لم تكن هناك عاصفة.

- أنا بخيرٍ، سأذهب إلى الفراش الآن، سنتحدث غدًا.

- - هل سمعت بشأن جيزيلا؟

- - لا، ماذا حدث؟

- - لقد ماتت.

- - ماذا؟ لكن كيف؟

- - لقد توقَّف قلبها عن العمل، على ما يبدو.

- - قلبها؟ في الثامنة عشرة من العمر؟

- - هذا صحيح.

تطوع لوسيديو بإخبار طاقم الإسعاف بما حدث، إذ لم أكن في حالة تسمح بالتحدث، كنَّا نتناول الطعام، عندما وقف صامويل فجأة ممسكًا بصدره، وسرعان ما وجدناه يسقط تحت الطاولة، حاولنا إنعاشه، لكن من دون جدوى. لا، لم نكن نعرف عائلته، بل كان يعيش بمفرده. من

الـذي يجـب إبلاغـه بأمـر وفاتـه؟ لم يكـن لدينـا أدنى فكـرة، مـن سـيدفع تكاليـف الجنـازة؟ نظـر إليّ لوسـيديو، فأومـأت بـرأسي، وبـدأت في حسـاب مـا يمكننـي بيعـه في شـقتي مـن أجـل الحصـول عـلى بعـض المـال.

كان الوحيـدان اللـذان حـضرا السـهر عنـد الجثـمان في شـهر أكتوبـر، جثـمان صامويـل، أنـا والسـيد سـبيكتور، رفضـتْ ليفيـا الحضـور معـي، وامتنعـت عـن الحديـث معـي منـذ أن علمـت بمـوت صامويـل في شـقتي؛ لم تقتنـع عندمـا أخبرتهـا أنهـا كانـت بالفعـل نوبـة قلبيـة، ولا علاقـة لهـا بالعشـاء، والمجموعـة، وكل ذلـك الجنـون.

اقـترب منـي السـيد سـبيكتور بتحفـظٍ، وسـأل: "سرطـان؟"، فأجبتـه: "القلـب"، هـزَّ رأسـه، وقـال شـيئًا لم أفهمـه حينهـا:

- أنا متأكد من أنه لن يندم على ذلك.

رتَّبـت الأمـر كي يـأتي السـيد سـبيكتور لزيـارتي بعـد يومـين كي نتبـادل الحديـث، حيـث أدرك أن هـذه اللحظـة لم تكـن ملائمـة. بعـد دفـن صامويـل، ركبـت سـيارة أجـرة وطلبـت اصطحـابي إلى المنطقـة التـي كنَّـا نسـكن فيهـا، لم أذهـب إلى هنـاك منـذ سـنوات، صـار هنـاك متجـر فيديـو الآن، حيـث كانـت حانـة ألبـيري في السـابق. وقفـت عـلى الرصيـف أحـدق إلى المبنـى الجديـد، وأحـاول أن أتذكـر كيـف كان شـكل المبنـى القديـم. ركبـت سـيارة أجـرة أخـرى وعـدت إلى بيتـي الشـبيه بالشـجرة. إذا كنـت قـد نجـوت كي أكـون أنـا مـن يتذكـر، فسـوف أؤدي المهمـة عـلى نحـوٍ بشـعٍ، لهـذا السـبب بـدأت في الكتابـة.

بـدأ السـيد سـبيكتور بالقـول إنـه سـمع عـن "منظمتنـا" مـن خـلال صديـق، وإنـه مهتـم بمـا نفعلـه لأنـه يتوافـق مـع فكـرة خاصـة لديـه، أو بالأحـرى، لم تكـن مجـرد فكرتـه، لكنـه يمثِّـل مجموعـة مـن الأشـخاص، مجموعـة.

- مهتم بما نفعله؟

ـ - هذا صحيح، لا أعرف تمامًا كيف أصف ذلك... القتل الرحيم، ربما؟

ـ - القتل الرحيم؟

ـ - الموت المريح؟

ـ - الموت المريح؟

ـ - المتع القاتلة؟

ـ - المتع القاتلة؟

ـ - ماذا تسميها، يا سيدي؟

ـ - ماذا أسمي ماذا؟

ـ - ما تفعله: قتل الناس من خلال الإفراط في أكثر ما يحبونه.

فسّر صمتي على أنه حذرٌ، وسارع إلى طمأنتي بأنني أستطيع الوثوق به، وأن أي اتفاق نتوصل إليه سيكون سريًّا تمامًا.

ـ صحيح، هممم، أجل. صديقك هذا، هل يمكن أن تخبرني بما قاله لك بالضبط؟

ـ إنه أكثر من مجرد صديق في الواقع، إنه ابن عمي، وهو يعمل طبيبًا، كان يعالج مريضًا مصابًا بسرطان عضال، دعنا نقول إنه قرر الاستفادة من الخدمات التي تقدمها منظمتك، والسماح لك بقتله، من الواضح أن صديقي هذا، ابن عمي، لم يوافق، على الرغم من أنه لا يعارض هذا المبدأ تمامًا.

ـ أي مبدأ؟

ـ مبدأ... القتل الرحيم من خلال البهجة.

ـ القتل الرحيم من خلال البهجة؟

ـ إطلاق العنان للعربدة.

- إطلاق العنان للعربدة؟
- الرحيل على نحوٍ مثيرٍ.
- الرحيل على نحوٍ مثيرٍ؟
- قمة التعاطف؟
- قمة التعا... اسمع، ما الذي قاله هذا المريض بالضبط للطبيب؟
- أنك تقتل المرضى الميؤوس من شفائهم بالطريقة التي يختارونها: بالإفراط في أطايب الطعام، أو الإفراط في ممارسة الجنس، أو الإفراط في أيٍّ ما كان الذي يمنحهم المتعة.
- لطالما كان جواو كاذبًا.
- وما الذي تقترحه بالتحديد؟
- أنا أمثِّل مجموعة من الأشخاص المهتمين بالمشاركة في هذه المبادرة.
- هل تمثِّل مجموعة من الأشخاص المهتمين بالاستثمار في، إحم... منظمتنا ؟
- لا، لا، إنهم مهتمون بالاستعانة بخدماتك، ويريدون الموت بين يديك.

لا بد أنني أظهرت الاستياء، لأن السيد سبيكتور أضاف بسرعة قائلًا:

- وهم على استعدادٍ للدفع بسخاء مقابل ذلك، مقدمًا بالطبع.
- بالطبع.

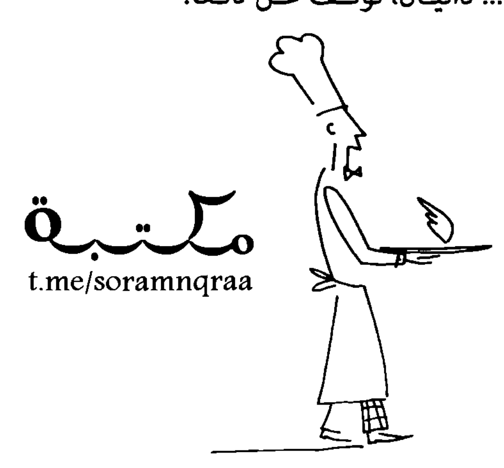
طلبت وقتًا للتفكير في الأمر، كما كنت في حاجة إلى استشارة الأعضاء الآخرين في المنظمة، لم نفكر أبدًا في توسيع خدماتنا على هذا النحو، بل كنَّا عادة نساعد الأصدقاء فقط، كنَّا نشكِّل ناديًا للموت، بطريقة ما. كنَّا نصنع الملائكة، لكن الملائكة الذين نعرفهم فقط، إذ إننا افترضنا دومًا أن أي شخص يموت بين يدينا وهو يتوسَّل

طالبًا المزيد والمزيد والمزيد، يمكن أن يُدعى ملاكًا بالفعل. أنا متأكد أنك ستتفهم، أننا في حاجة إلى النظر في التفاصيل العملية، والدلالات الأخلاقية، والآثار القانونية المحتملة، فهذا ليس بالأمر الهيِّن. قال السيد سبيكتور إنه يتفهَّم، واتفقنا على أنه سيعود غدًا لمعرفة ردنا. في أثناء رحيله، سألت السيد سبيكتور عمَّ إذا كان هو نفسه مريضًا بمرض عضال، فقال بنبرة من التواضع، لا، بل هو مجرد وسيط، لكنه اعترف بأنه كثيراً ما فكر في السعادة التي لا بد وأن يشعر بها المرء عندما يتمكن من التخطيط لطريقة نهايته، سيكون الأمر أشبه باختلاس النظر إلى الصفحة الأخيرة من إحدى قصص الجريمة قبل قراءتها، وبهذه الطريقة ستقرأها على نحو أكثر ذكاءً.

اتصلت بلوسيديو، وخشيت أن يكون قد غادر المدينة، لكنه كان لا يزال في نفس الشقة، ولم يكن لديه أدنى نية للرحيل مما يعني أنه لم يكن قلقًا على الإطلاق من أن أفصح عن كل ما أعرفه عن انتقامه الرهيب. ونظرًا إلى أنه قضى أيضًا على جيزيلا، على الرغم من أنني لا أعرف كيف فعل ذلك، وبما أنني لم يكن في وسعي الإبلاغ عنه من دون الاعتراف بتواطئي في الموضوع، فكل ما كان عليه فعله هو الانتظار حتى يمرَّ الوقت، وينسى الناس أمر الاندثار الحزين لنادي يخنة لحم البقر، يمكنه بعد ذلك فتح مطعم بالمال المتبقي من ميراثه من راموس. أخبرته عن زيارة السيد سبيكتور وعرضه، وتوقعت أن ينفجر لوسيديو ضاحكًا، لكن لوسيديو لا يضحك أبدًا. سألني عمَّ إذا كنت متأكدًا من أن السيد سبيكتور هو حقًّا كما يدعي، ربما يكون مفتش شرطة، وربما كان يجري تحقيقًا، بل ربما حتى اخترع تلك القصة برمتها عن مجموعة الناس الذين يرغبون بالموت من خلال الإفراط في الملذات، لأنه يعرف ولعي بالقصص الغريبة. اقترح أن ندعو السيد سبيكتور لتناول العشاء من أجل التحدث بشأن اقتراحه غدًا، وقال:

- ففي النهاية، لم أعد لك فخذ الضأن بعد.

عندما يصل السيد سبيكتور اليوم، سأدعوه إلى تناول العشاء، آمل أن يكون هو أيضًا يحب فخذ الضأن. كلما أمعنت التفكير في فكرته، ازددت إعجابًا بها، إذا وافق لوسيديو، يمكننا كسب الكثير من المال، وأنا في حاجة إلى المال، فقد ازدادت أسعار نبيذ سانت استيف أكثر وأكثر، وبعت كل شيء في شقتي، باستثناء لوحات ماركوس، التي لا يرغب أحدٌ في شرائها. مع وجود السيد سبيكتور كوكيلٍ لنا، يزوِّدنا بالعملاء المتحمسين لتجربة قمة تعاطفنا، قد نفكر حتى في توسيع نطاق العمل وجعله أشبه بالكذبة التي اخترعها جواو لطبيبه، وتلك الحكاية الغريبة التي قصَّها صديقنا راوي النكات. يمكنني رؤيتنا ليس فقط ونحن نقتل المرضى الميؤوس من شفائهم خلال مآدب العشاء الفاخرة في حجراتي الخالية، بل ونعمل أيضًا على تنظيم رحلات بحرية كاريبية للمحتضرين، وجولات لأصحاب الملايين في عواصم أوروبا وأوكار الظلام في آسيا، ومن بين جميع الملذات القصوى في العالم، نقدم المغامرات المميتة، والنشوة المطلقة، والتطرف القاتل، وهزات الجماع القصوى والانتصاب الضخم لكل من يرغب في المزيد، دائمًا المزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد والمزيد... دانيال، توقف عن ذلك!



نبذة عن المؤلف

لويــس فرنانــدو ڤيريســيمو (مواليــد 26 ســبتمبر 1936) روائي برازيــلي، وهــو أيضًــا صحفــي، ورســام كاريكاتــير، ومترجــم، كــما كتــب للتلفزيــون والمــسرح، عــلاوة عــلى كونــه موســيقيًّا يعــزف الساكســفون، ومــع أكــثر مــن 60 كتابًــا منشــورًا، فهــو يُعَــد أحــد أشــهر الكتّــاب البرازيليــين المعاصريــن.

طــوال الثمانينيــات مــن القــرن المــاضي، أثبــت فيريســيمو نفســه كظاهــرة نــادرة بــين الكتّــاب البرازيليــين، حيــث يكتــب أعمــدة أســبوعية في العديــد مــن الصحــف، ويصــدر كتابًــا واحــدًا عــلى الأقــل ســنويًّا، دائمًــا مــا تحتــل قوائــم الكتــب الأكــثر مبيعًــا. في عــام 2003، اختــارت مكتبــة نيويــورك العامــة النســخة الإنجليزيــة مــن روايتــه "نــادي الملائكــة" كواحــدٍ مــن أفضــل 25 كتابًــا لذلــك العــام، وفي عــام 2006، بلغ ڤيريســيمو الســبعين مــن عمــره، وأصبــح أحــد أعظــم الكتّــاب البرازيليــين المعاصريــن، حيــث بــاع أكــثر مــن 5 ملايــين نســخة مــن كتبــه.

نبذة عن المترجمة

إيناس التركي مترجمة مصرية، تخرجت في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، بجامعة عين شمس.

من ترجماتها: رواية "مون تايجر" للبريطانية بينيلوبي لايفلي، ورواية "الحارس الأخير للقاهرة القديمة" للأمريكي مايكل ديفيد لوكاس، ورواية "الشرطي الثالث" للأيرلندي فلان أوبراين، ورواية "كل أحزاني الضئيلة" للكندية ميريام تيفز.

نادي الملائكة

مع العلم بأن كل قضمة قد تكون الأخيرة، يأتي شعورٌ بالإثارة ونكهة إضافية لا يمكن مقاومتها، لكنَّ هناك سببًا لكون الشراهة من الخطايا السبع المميتة...

كانوا عشرة في البداية، من نخبة الشباب في مدينتهم، يجتمعون كل شهر للاستمتاع بمأدبة رائعة، والاحتفال بصداقتهم وتفردهم، لكن بعد مرور عشرين عامًا، لم يعودوا محطَّ إعجاب الآخرين كما توقعوا، ووهنت أواصر صداقتهم بفعل الصديقات الساخطات، والزوجات المتشككات، والإفلاس، والطلاق، والموت، حتى التقى دانيال بلوسيديو. يعتقد دانيال أنه وجد في صديقه الجديد هذا وصفة يمكنها إعادة الحياة إلى اجتماعاتهم الشهرية التي فقدت رونقها. ورغم أن لوسيديو غامض قليل الكلام، فإن عبقريته في المطبخ تساعده على إعداد أطباقهم المفضَّلة بصورة لا مثيل لها، وبحيث لا يكفي طبق واحد أبدًا، ولا سيما بالنسبة إلى تلك المجموعة التي طالما أرادت المزيد.


ISBN 978-977-313-973-5



